أشــــلاء
بــؤرة
العشــاق

روايــــة

أحمد محمد حميده

صورة الغلاف
عمال التراحيل
للفنان أميل محارب

المؤلف :أحمد محمد حميده
الكتاب :أشلاء بورة العشاق
الناشر :نادى القصة
الطبعة الأولى :٢٠٠٥
رقم الإيداع :٩٢١٦ / ٢٠٠٥

نادى القصة
٦٨ شارع قصر العينى - القاهرة
ت : ٧٩٤١٩٢٩


الكتاب
الفضى
نادى القصة

الإهداء

إلى المرأة - نبع المودة

التى أبحث عنها ..

إلى اسكندرية محرم بك ، الورديان ، لرموز ، غربال ،

غيط العنب ، وباكوس ...

المكس ، راغب باشا حيث ولدت ...

مع حبى ،،،

أحمد حميده

ساق تل الزبالة

الشمس فوق الحى تتمطى . تبث الدفء . رويداً . تخمد أنفاس البيوت القميئة . تشد أبدان العيال من أركان الغرف المكتومه والمداخل . ينطلقون من أسر الليل المخنوق بأنفاس الأهل والضيق . يركضون إلى الشارع . يتناثرون . كالعادة . بلا فطور يلهون فى طين الأزقه . يطاردون البط والدجاج المطلوق مثلهم إلى النهار الجديد . يتصايحون بهياج متعمد بغيض ، كأنهم يوقظون الرجال ليجيئوا ويفتحوا فالحى بلاصخب يشبه المدافن ..

يتقافزون بالثياب الرثة ، قفاطين قديمة ، بيجامات قصيرة . حفاة . يصفرون يصدعون الجدران . يدعون أطفالاً آخرين مازالوا نائمين .. يتسابقون كان فرغل يرفع باب دكانه .. نهر العيال بضيق .. تباعدوا مزمجرين ، توقفوا بجانب كشك سجائر عم مرعى.. قذفهم بماء مرشوش من كوز بيده لعنه بعض العيال وركضوا هاربين ..

كانت الشمس تستفيق وتشهد أبواب الشرفات وهى تفتح ، وتخرج منها أحشاء الغرف . وسائد أغطية . فوط . ملابس نوم . وأبدان نساء برمد النوم العالق . يراقبن بعضهن البعض عبر النوافذ، يتثاءبن . ويدخلن ..

لم يجد العيال مكاناً للهو غير ساحة عم هويدى بائع الملابس ، فتجمعوا عندها بتوجس يخامرهم . وبدأوا يلعبون بصخبهم المزعج .. لكن هويدى الذى يقطن بالطابق الأول . والذى يعلو الدكان ، أطل برأسه الصغير من النافذة المواربة . نهرهم بضجر .. تفرقوا .. تلكأ البعض متعمداً إغاظة الرجل . تراقص البعض . ثم ركضوا نحو الجانب الأيسر للتقاطع حيث الخلاء الفسيح الذى يحيط شركة النحاس . مكان تغمره الشمس دوماً . لكنه المتاح . فالجانب الأيمن للتقاطع . يفضى إلى سكة قطارات الضواحى .. وخطر .. تتابعوا ركضاً إلى «تل الزبالة» الذى يعلو ويتكاثر يوماً بعد يوم . رابضاً بأول الخلاء ..

(يقول رجال الحى القدامى ، أن الأرض ملك شركة النحاس . ويقول بعض آخر أنها تخص عائلة الفولى الكبير ، وأن الأرض تائهة منذ زمن بعيد بين أروقة المحاكم .).

تسابقت أقدام العيال الحافية نحو التل . تركض . تصعد إنحداره.

ينثرون النفايات . ينقبون فى بقايا البيوت والبطون والدجاج . فى الزبالة أشياء نافعة ، مخلفات بشر منسية ، يمكن أن يُلعب أو تباع . ملاعق . أو شوك . أقراط أو أساور. قطع نحاس أو فوارغ

بلاستيك .. أحد الأطفال وجد ذات يوم خاتم من الذهب وهو ينبش في مخلفات البالوعات المنسدة أثناء تسليك شبكة الصرف الصحى.. لكن أحد الصغار بأسفل التل صاح . ـ الحقوا يا عيال .. إلحقوا ...

مذعوراً .. كان هناك بأسفل التل قدم بارزة بين المخلفات . قدم بأظافر حمراء وجلد شبه مقروح ومسود .. تدحرج العيال هابطين المنحدر . تصايحوا . ـ فلوس ؟! ـ . دهب .. ؟! ـ نحاس .. ؟ ..

لكن الصمت حط عليهم والروع .. إستدار البعض . انطلق راكضاً . برجفة عارمة ورغبة تبليغ الخبر ، واعلانه على الأهالى قبل غيره..

تحمس طفل وانحنى بتحفز .. شد القدم متوقعاً استجابة .. يشد بقوة تولدت فيه بتواجدهم . شد . فأنسحبت الساق . ساق زرقاء الجلد ومنفوخة ، مبتورة عند الركبة . ملوث لحمها الممزق بدم متجمد ومسود.

كأنها قطعت بساطور .. تراجع الولد الى الوراء مبهوت الوجه..

تقزز الكلام المنذعر فى الأفواه .. ماج الدمع بأعين النسوه . والأسى برؤوس الرجال ..

كان العيال قد انضم إليهم بعض الشباب ، وراحوا جميعا

ينبشون فى أركان التل حتى تصاعدت روائح قعره النتن .. لمن تكون الساق .. ؟

لم يحدث فى تاريخ حى الفولى عملية قتل مروعة وخفية مثل هذه .. القتل هنا يحدث علناً وتحت أعين البشر . فى عز الشمس يحدث وفى أضواء الليل لتشهده الأهالى . معارك تشعر بها حتى دواب الأرض . تشهد السيوف والخناجر والهراوات وقبضات الحديد والمواد الحارقة .. رجال لرجال وليس رجل لأمرأة « فلمن تكون الساق . ؟ » رجال ـ حين يرجفهم الغضب الشرس ـ لايهابون على الأرض أحداً ، ولا فى السماء ـ يطوفون بالشوارع والحارات ، يعلنون بكلام القبح البذئ عن مهارات أبدانهم العارية من إثبات الرجولة ، يتقاتلون حتى الموت وتحت أسماع الحكومة التى تقبض على القتلة فى النهاية .. « لكن .. لمن هذه الساق .. ؟ » نهاية تتوارى معها أعين الفرجة فى النوافذ .. يبتلعون كلمات الخوف التى تلوك المضاجع وراء الجدران . ويلتحفون بالصمت المقهور و يغطون فى النوم العميق .. وعند طلوع النهار ، يقبع حدث الأمس فى الذاكرة « لكن الساق .. من جاء بها ؟ ومتى ألقيت هنا . وكيف توارت تحت تل الزبالة . ؟ » التل يتكون ويعلو هكذا خلال شهر أو شهرين . والساق أسقله . ؟ ملقاة هى إذن قبل

ارتفاع التل..

هاجت بالرءوس رواسب الذكريات متباعدة .. توقف الرجال يصمت الروع . يحلقون مكان الساق الملقاة ويحدقون بأعين شاردة..

إبراهيم هويدى صاحب بوتيك الملابس ـ سقط المصانع ـ ترك بيته وجاء مهرولاً مشغول الدماغ بقلب مبهم . عم فرغل العجوز صاحب دكان الخردوات الصغير جاء ركضاً متوجس القلب ينظر بأسى الخائف .. محمد دواجن صاحب دكان الدجاج والبيت الذى يعلوه ، والمجاور لدكان بخيت الكواء. جاء مطلوق البدن كمن يضمر بالنفس خطراً مؤرقاً قديما أفزعه ..

* عم برعى العجوز المتصابى . جاء متدحرجا بجسده البدين الأملس ، بعد أن وارب باب كشك السجائر الملاصق لباب بيت بخيت . توقف مبهوت الوجه . ملهوف القلب المجهد . يحدق فى الساق كالمتذكر ، أين رآها . وبخيت الكواء / السمسار ، فضولى النفس والروح ، يتقدم بقلب واجف . يتوسط الجمع ويحدق الساق وقد وارى وجعاً انتابه انحنى لينظر ، فى لحظة سقوط العيون على جسده النحيل . ثم اعتدل متراجعاً مبهوت الرأس . كان قد لمح ندبة ببطن الساق . ندبة ألجمت لسانه ..

حط الصمت فوق الرؤوس . صمت يتثاقل . يضغط على الروح خافية البهجة

* * *

عليك أن تشرب اللبن . تشرب وأنت مستلق على قفاك فوق الفراش . بين النوم والصحو تزغدك بيدها الرخوة .. تتمطى . وبيدها الأخرى كوب اللبن الدافئ .. تتعمد تثاقل رأسك على المخدة . تفتح عينا لنور الغرفة من النجفة ليغمر الغرفة و السرير الخشبى ، وتغمض عيناً . جسدها المتقد بالرغبة يدعوك .. تتدلل وتدعى النوم . اللحم الأملس فى الضوء الخافت يجاورك . يناورك ويذيب مشاعرك .. تداعبك عليك أن تشرب اللبن . قبل انقشاع آخر خيوط الليل ، وظهور بوادر النهار . تتناوم مرفرف الروح . تتمطى . توقظ فيك رغبة بدأت تتغلغل ببدنك النحيل ويشتد عصبك على مهل .. تتأجج هى بها ، تتتوهج فيها مع بداية الليل، فتعدلك كوب اللبن مع أول بوادر الفجر . إشرب اللبن .. إشرب اللبن ..

تتربع إلى جوارك وثوبها الشفاف يكشف عن ردفين يتوقان إلى التمطى والأنتشاء تتقلب .. تصطنع النوم . تزغدك بكف الغيظ .. زوجتك تريدك.. معقول ؟ تفتح مسامك .. تقشعر . تغمرك

النشوة الفرحة .. سوف تنهض . اشرب ..

لابد أن تهزم الجسد القوى الممتلئ المتحرك المتأهب . المراوغ . المتأوه . الذى يرفضك بأول الليل ويرغبك مع أول الفجر ولا تعرف لماذا . مع أنك تشرب اللبن وتواصل النوم - ربما لتعبها النهارى مع العيال ، وحضورك متأخراً لتجدها ملفوفة بالثياب الثقيلة وغطيطها المنفر الذى يزعج الدماغ .. لكن فى الفجر عليك أن تشرب اللبن وترى العرى .. اشرب اللبن ، ويدك تندس تحت الشعر المنساب . نطوق العنق اشرب .. قرب وجهك من الشعر المصبوغ والوجه المزوق بالمكياج والعطر والجوف يوزع اللبن يميل على رأسك الصدر المكشوف . واللبن ينسل على الأوردة .وفمك الملوث باللبن يطبق على العنق النافر . الذى يتباعد - مع الرأس - بتقزز .. واللبن يمور . رويداً . بطيئاً .. وأنت تحاول إزاحه الخدر . خدر غريب دائما ما يعتريك بعد شرب اللبن . تحاول . بتحريك الذراعين يميناً وشمالاً مع نهوض البدن شبه المشلول لافائدة.. كل ما فيك قد تراخى . وتفتح أبواب الجسد لتعبر .. تنظر بتحد إليك . لو كنت رجلاً ادخل.. لكن نظرك يزوغ .. تحتويك غشاوة . تدعك رأسك . تفركه. يصير كالورقة .. تدرك هى - مؤكد - أنك لن تقدر ... تدرك أنت أنها - الآن - لاتريدك أن تقدر .. وتعرف أنها - ربما - تكره

نومك . انكـفاءك على ظهرك كصرصور مسـحوق بالمخدر يعانى النوم والخجل ..

ببطء شديد وحذر ، تراها وهى تتحرك ، تولى إليك ظهرها العارى ـ تحاول لمسه بيدك الثقيلة وذراعك المغلولة ـ تتحرك نحو حافة السرير لتهبط غشاوة كانت بعينيك حمراء تتألق فى الضوء الخابى . تقف فى فراغ الغرفة ، بين السرير والتسريحة تتعملق .. وأنت تصغر تقاوم خدر النعاس .. وهى تتسلل . تمد اصبعاً لتطفئ النور . تدعوها ألا تطفئ النور . لاتسمع . والغرفة تتسع . يتضخم الدولاب . يكبر السرير والتسريحة والباب ونافذة المنور .. ويكبر الكوب . ثم يطفئ النور بنفس الأصبع تدرك من خلال خدرك المقاوم ، أنها تفتح الباب وتدلف إلى الصالة . وتسمع صوت الغلق وصوت ترباس يتك من الخارج .. تكة تدفع للنهوض .. تجوب بحذر السرير المتسع . تحاذر السقوط من فوق الحافة . فالأرض بعيدة .. وباب الغرفة يفتح ببطء ، برفق . وهى تعود . تتسلل .. وأنت لم تزل مطروحاً . مشلول الإرادة . مخدراً كان وجهها المنبعج مدهون بالمساحيق الصارخة ، مفغور الشدق عن ابتسامة تهكم ودهاء وتدنو دنواً أشعرك بالفزع أظافرها كالمخالب .. صراخك مكتوم ، تحاول تحريك بدنك الثقيل وهى تشرع فى غرس المخالب

داخل عينيك . تغمضهما وتتوقع الغرس فى العنق . تنكمش ..

الكوب فارغ فوق ظهر السرير . تود تناوله وقذفها به .. ثقيل ذراعك . محبوس صوتك منطرح جسدك وساكن . لكن المخالب تجاوزت وجهك المذعور . دفعت من تحت رأسك مخدة . وتناولت بطانية ثقيلة ولحافاً ثقيلاً ألقتهما فوق جسدك الثقيل وران فوتك ظلام ثقيل . تكدس وأخفى كل شئ من حولك .. كنت تسمع لحفيف ، فحيح . حركات وقع خطو حثيث نحو الباب . لكن الظلام والثقل يخنق روحك ينبه حواسك أن هناك . فيما وراء الباب ، فى الصالة ، يحدث شئ ، شئ مريب حاولت كثيراً تكذيبه بالنوم . النوم الذى داهمك بعد تكات الترابيس .

* * *

فى العاشرة صباحاً - حين يستيقظ - تكون إلى جواره مغسولة الوجه الذى اصطنع النعاس . يسألها .. وهو يتثاءب..

- هل صحوت فى الفجر . ؟

تقول وجسدها الهامد الخامل يتمطى ..

- ها أنا إلى جوارك .. هل حلمت بى ؟

وتثاءب . وضم رأسه الثقيل ..

- نعم . حلمت أنك تركتنى . وخرجت إلى الصالة .

تثاءبت بأريحية وقالت .

- ربما .. وهل دورة المياة فى غرفة النوم ؟

- لكنى سمعت صوت الترابيس ..

- ربما الترابيس وضعت من الخارج لعدم دخول العيال عليك وأنت نائم .

رغبة الأقتراب من رأسها محلول الشعر تراوغه . قال .

- كنت جميلة جداً فى الفجر ..

- وماذا فعلت أنت بجمالى .. ؟ لاشئ .. نوم .. نوم .. أنهض يا بخيت .. أين بخيت ؟نكس رأسه الخجل ، فرفعه التثاؤب البغيض . قال شبه ضاحك .

- بخيت بجوارك وشرب اللبن . وبيدك . وكنت اريدك فعلاً . لكنك خرجت أبعدت وجهها المتقزز عن وجهه وفمه كريه الرائحة . قالت بتهكم ..

- دائما يجيئك هذا الكابوس . انهض . واغتسل ، فمك رائحته كريهه ..

* * *

أوعز بخيت لنفسه . الندبة مجرد خيال مر على الذاكرة .. وهم اختلقه غياب « أم ريده » . فتوقف يراقب الساق بصمت ..

لم يستطع أحد تحديد زمن القاء الساق . ولا زمن ارتفاع التل . ولا يذكر أحد اخر مرة رفعت فيها الزبالة .. يخيل للبعض أن التل موجود هنا منذ أمد بعيد . تواجد مع وجودهم .. كانوا يلمحون رجال البلدية يرفعون التل ليلاً بالونش .. ويختفون . ثم فى الصباح يجدون التل كما هو . نفاياتهم ونفايات بشر الشوارع المجاورة ..

ولأن دكان بخيت يجاور التل ، كان يلمح أطفالاً غرباء ينسلون - خلسة - من الأزقة البعيدة ليلاً ، حاملين أكياساً وصفائح زبالة . يلقون بها ويركضون خائفين .. والموظفون الموقرون - سكان العمائر الجديدة - الطافحون بالتجهم الصارم كانوا يتسللون صباحاً ذاهبين إلى العمل حاملين أكياس الزبالة . وبتكابر ، يركنون الأكياس ،. وينفضون أيديهم .. وسكان البيوت المحيطة بالتل ، كانوا يخرجون أيديهم من النوافذ المواربة بالأكياس ويطوحون بها عالياً - بالفضاء - حتى لايشاهدهم أحد أو يحدد مكان اليد الرامية . فقط ، يرون كيسا طائراً ..

الغجر ، أكثر البشر جرأة . يحملون زبالتهم فى العلن - كباراً كانوا أو صغاراً . يلقونها على طول الأذرع ، وكأنهم يلقون بها فى أعين الناظرين ..

قال هويدى والعيال يصعدون لنبش التل من جديد ..

ـ لافائدة من تقليب الزبالة .. العفن موجود بالداخل ..

يعرفون جيداً ما تحتويه أكياسهم .. نفاياتهم فقيرة . مقززة تعافها الكلاب . علامات العائشين فى حدود المتاح .. زبالة تبدو فيها مظاهر النعيم والقهر . ولكن الآن ، وقد واصل العيال النبش لن يستطيع أحد تحديد زبالة الآخر فقد مزقت كل الأكياس وفضت . ليتوج الصمت الرؤوس مع توقع البعض أن يعثر العيال على بقية الجسد ، شق الصمت المرتجف صوت مألوف . تألفه الأرض . الجدران الأرصفة الحيوانات والبشر . صوت تضامن مع روائح العفن الذى تصاعد ليزحم الجو . صوت عربة النجدة .

* * *

السجن والسكن

هجرك الشريك والخصم . ترك بحوازتك خمسة أطفال تضررت بهم وحدك يتداخلون الآن فيك حتى انتابك الوجع . وجع مريح يشعرك بالإستقلال ، وجع أغلق الأفواه التى تقربت منك ، لأجلها . تباعد الجيران ، التزموا الدكاكين بقلقهم المخبوء ، المفضوح أحياناً بسؤالهم الخفى الحذر عن سبب هجرها لك وعيالها والحى .. ذهبت مرة إلى السوق . ولم تعد ..

كف البشر عن تلويك الحكايات فى الخفاء .. اختلق البعض أسباباً أخرى باسمك المقرون بالخسة والدناءة والدنس ، وادعاء الرجولة الزائفة والثقة المراوغة فى مقدرتك على لمّ شعر امرأتك المحلول ..

ها هو بخيت سيد البخلاء مهجور القلب والبيت ، يسوّس اطفاله وحده ..

كنت تدرك أن بعض الجيران يحاول التعلق بشعرها المحلول ، والولوج إلى رأسها الثابت فوق العنق الجميل . تمنوا البقاء بجوار القلب ولو لبرهة . أو التزحلق على لحمها الأملس المكشوف .. تعرف ماذا يبغون . تعرف وتتقاضى.. تتعامى . تضحك . وتحلق ذقنك .. تتباهى وتناجى نفسك ، دعهم يحتلمون على أنفسهم كالمراهقين ..وليأكلهم الغيظ .. لينظروا ، ويطيلوا النظر . لن ينالوا غير اللهاث من شكل زوجتى الفاتنة .. هى لى وحدى . وحدى . لدى ترخيص حكومى وشرعى بأنها ملكى وحدى لحمها الناعم رويته بدمى وعرقى . غزوته بحرّ مالى . أجاوره الفراش بالليل حين يغلق علينا باب واحد . تحت سقف واحد . فوق سرير واحد ..

كل الحكايات الى تقال افتراءات نساء قبيحات . ورجال طفح الشبق فوق أمخاخهم والعيون .. نعم تذهب هى لسوق باكوس .

تخالط الباعة . هؤلاء الجوعى النهمون تحادثهم .. تباسطهم .. ويداعبونها .. لكن فى النهاية تعود بسلتين مملؤتين بالخضر واللحم.. تدعى لى أنها دفعت الثمن من مصروف البيت . لكن الأشياء المجلوبة أكثر من قيمة المصروف !

أضحك عندما تقول لى أنها ضحكت عليهم . العيون الراصدة المتناثرة حول النافذة ، تبصرها عند العودة .. يقولون باشمئزاز . الجسد العائد من السوق منهوكا أكثر مما كان عليه فى الصباح ولابد وأن أحد الباعة قد ارتقاه. الآن . فى عز الظهر .. أين ؟ . أسفل عربة خضر ؟ فى كشك سمك .؟ فى مدخل بيت ؟ أقوال ضعفاء النفوس المغتاظين ..

ويؤكد بعض أطفال الغجر ـ براعم النشل ـ أنهم شاهدوها ، وهم يمارسون عملهم بالمواصلات العامة ، وهى تركب «تاكسى» وبجوارها شاب حليوه بسوق هل أم ريدة تذهب إلى السوق ، وتعود بتاكسى ؟ والتاكسى يمشى على مهل فى شوارع رشدى وكليوباترا وأحيانا فى منطقة فلمنج !!

كذب .. كذب لصوص وسفلة .. الشاب الحليوه ذلك صديقى .. تركب معه بعلمى فأنا أخدمه فى البحث عن شقة لزواجه . وهو يخدمنى فى توصيل أم ريده إلى منزل أختها فى محطة مصر ..

« مــاجـد » صـــديقى ، وهـو ابن نـاس أكــابـر يقطنون فى منطقــة كليوباترا ناس لايفعلون القبح ، ولا يهـتـمون بالقذارة التى تحشو رؤوسكم بالحقد والشهوة ..

كانوا يتهمكون . وبرعى يقول لفرغل ..

- مـــنذ رحـيـل فـتـــوح . خلى لهــا المشــاوير البـعـــيـدة . واصــطياد الشباب ..

وصوت فرغل الواهن المضطرب يقول ..

- هل كان يستطيع التواجد فى المنطقة وفتوح موجود ؟!

- فتوح كان حارساً أميناً . عليها ..

- أى والله .. حارساً نظيفاً .. !

- .. يا أخى شئ غريب .. لماذا تركها هكذا وسافر .. ؟!

- غداً يرجع .. مثله لايصلح للسفر ..

جئت بماجد . وضعـتـه فى أعـينـهم ليـصدقـوا ويبطلوا كـلامـهم الفـارغ . تعـمدت أن أدخله بيـتى ، وهم جلوس كـالمقـاطف . تناولنا معـاً أكـثر من وجبة غداء ليـصدقوا أنه صديقى . تـأبطت ذراعـه وجـعلتـه يجلس على باب دكـانـى ليكون تحت أنـظار كل البـشـر . وليتساءل « محمد الفرارجى » الذى يجاور دكانه دكانى

- من هذا الشاب . أنه جديد على المنطقة .. ؟!

أصبح صديقاً . يزور الدكان والبيت ـ بعربته الأجرة ـ وقتما يشاء .. كيف تفعل أم ريده فعلاً مشيناً ؟ مستحيل . أنا أعرفها كما أعرف نفسي . نعم هي ترفضني و كثيراً ما تتقزز مني حين أريدها ! فكيف تقبل بأخر .؟ ثم أن المسافة بين الدكان والبيت عدة أمتار .. كيف يتسنى لها أن تكون بحضن آخر..؟

مدفونة شقتي بقعر بيت ضئيل ، مزنوق بين بيت فرغل وبيت برعي .

بين الدكاكين وبيوتهم القصيرة تنفذ روائح العفن . بيوت تلفظ بطونها القبيحة . تفرخ عيالاً مثل العفاريت .. شرفات ضيقة مزحومة بالأمتعة البالية المفروشة يومياً في عين الشمس والهواء لتجفيف « بول » العيال وفساء الكبار قبل مغادرة الشمس وتواريها وراء بيوت مقامة بحذاء السكة الحديد ..

شقتي ـ بأسفل ـ تشبه القبر المفتوح ـ غائرة قليلاً عن أرض الزقاق .. نافذتها الوحيدة تقارب رأس الواقف على الرصيف . نافذة هي مرتع العيال ونزهة الأرواح والتفرج على ناس التقاطع الذين يطلون دائماً من النوافذ . أو يجلسون على المداخل هرباً من الحر والظلام الداخلي الذي يستوجب إنارة نهارية مكلفة .. يجاورني كشك برعي الرابض ببدنه السمين الأجرد المترهل وسط

سجائره الفرط وأكياس اللب الصغيرة وبرطمانات الملبس وبواكى المعسل. وأصدقاؤه الليليون المقوسون بوطء الزمن الشقى المنصوم - يتسامرون. وزوجته الريفية المتصابية تقعى فى فناء مدخل البيت تعالج النعاس الثقيل المراوغ .

وبالجانب الآخر يقبع دكان فرغل يعلوه بيته الصغير الذى أقامه من أفوات عياله المتواجدين - بالتناوب - أكثر أوقات النهار . يبيعون ويتشاجرون مع الذباب الذى يناوش سحناتهم المتجهمة دوماً وبالجانب المقابل ، يربض بيت الصعايدة الصاخب بالعراك اليومى الذى يدور بين شركاء الغرف ودورات المياه. بأسفله شباك كأنه عين مطفأة. تشغله أمرأة عجوز - متجعدة - لاتتركه إلا حين يطل ابنها الشاب الوحيد ، الذى أنهى فترة التجنيد . وجاور أمه انتظاراً لوصول خطاب القوى العاملة . يقول - منذ زمن . أنه سوف يأتيه قريبا .. شاب خجول . مؤدب ، وشاعر ..

كلهم يوجهون النظر نحو شباكى . يراقبون بابى الحديدى الصغير الموارب.. ينظرون لعل أم ريدة ، تكون قد عادت فى غفلة منهم .. ويغضون النظر حين يروننى داخلاً أو خارجاً . ولا أدرى لماذا يتوجسون حين أبتسم ؟ يقلقون حين أضحك .!

انتزعت من أبواب الشقة كل الترابيس التى وضعتها هى ذات

يوم بعيد .. ماهو الفرض المحدد منها ؟ ترابيس على حلوق أبواب الصالة الثلاث .. وضعت على ارتفاع طول ذراعها . وحدها ـ كانت ـ تتحكم فى استعمالها . تفصلنى عنها وعن العيال وقتما تحب الأنفراد بنفسها .. تختلق الشجار من أجل التوحد فوق الكنبة مؤكد ـ حسبها لى بغرفة النوم خوفاً على راحتى من إزعاج العيال.. لعشقها الشديد لى ؟! عشق يخول لها التصرف فى نومى وصحوى. احتجازى وراء الباب لأنعم بالهدوء ! شعور لذيذ يغمرنى. برغم البول الذى كان يحصرنى و يوقظنى فأخبط الباب بهدوء لتفتح لى .. تكون منهوكة البدن ـ وحدها ـ مطروحة فوق الكنبه ، شادرة الذهن كمن تجتر لحظات فائتة حلوة .. فأبول .. وأعود . أضحك والنعاس يخمد دماغى .. أسأل عن حال العيال ترفع الجسد المجهد مع الذراع المعضوض وتجذب ترباس غرفة العيال، بنطلقون كالمفرج عنهم بعد حبس استمر الليل بطوله حتى وقت الضحى .. أضحك .. متذكراً ترباس باب الحمام . أهز رأسى ممتناً . وماله ؟ كل البشر يضعون هكذا الترابيس . وماله ..

قالت ـ ريده ـ ابنته الكبرى

ـ لو أعرف إلى أين ذهبت أمنا . ؟!

وقالت الصغرى ..

- لماذا لم تأخذنا معها ..؟

- ربما ترجع ..

- فات شهر ولم ترجع ..

لم أسأل نفسي يوماً عن سر هذا الترباس - لكنى أدخل الحمام - أغلق الباب - أسعل وأضرط . أغسل وجهى . تنسل هى إلى غرفة النوم . تفتش جيوبى - تبحث عن نقودى - أعرف من تغيير وضع الثياب على المشجب .. تتذمر لخيبة مسعاها أخبأ نقودى فى مكان لاتعرفه .. ألمح ضجرها الواضح ،فأغنى .. أجوب الصالة . أصفر.. وماله .. كل البشر يضعون ترابيس ..!؟

- متى ترجع ياسى بابا ..؟

ينهشون رأسى .. وحين يتعبون، يقعدون فوق النافذة ، يراقبون التقاطع .. لعلها ترجع .. ينتظرون .. كما ينتظر رجال يأكلهم التوجس القلق .

المختنقون

كانت فى الأذهان والعيون - كامنة - مستبدة - رغم الغياب - فى حناياهم تشدهم - أبصارهم - أعصابهم تختلى بهم توصل باب غرفة النوم .. و .. تتوحد . كيانات القلق تراود رأسها .. حراس الجسد المرصود ، كانوا ، يحبونه يشتهونه ، ويخافون منه .. جسدها

المنعكس الآن فى مرآة التسريحة . عارياً تراه . فاتن التكوين . يؤرقه الظمأ . ينشد الأرتواء والشبع ، تستمد القوة منه والثقة . شعرها المصبوغ بالحناء سائباً ، يتوج الوجه .. هم هنا..متواجدون جميعاً بأسفل السرير .. تحت ألواح السرير الخشبى القصير .. تضحك .. يدندن الفم الناعم .. مخبأة قلوبهم المتعفنة ومركونة داخل ذلك الصندوق الكرتونى المهمل بركن قصى ، ملتصق بحائط ينضج بالرطوبة والملح إلى جوار الأحذية القديمة وأمتعة منتهكة . صندوق تصعب على غيرها التوصل إليه تنهدت أنفاس التلظى ، تعمدت التواء الجسد لتبرز الصدر المخنوق بسوتيان أسود شفاف .. يلذلها النظر إليه حين يتهدل أثناء إنحناء الجذع وزحف البطن والأحتكاك بالأرض مع الكوعين والدخول فى ظلام أسفل السرير لازاحه الأحذية وسحب الصندوق .. لنهر شقى النهدين غرقى لايزالون فى القاع ينشدون النجاة ، الخروج منها ومن الصندوق ..

عند زحف البدن إلى الوراء ـ عائدة ـ ينحسر الثوب الشفاف عن النصف السفلى ترقص المؤخرة بانتشاء وهى ترفع الصندوق ..

جلست فوق السرير . مددت الساقين وقد باعدت فيما بينهما ووضعت الصندوق المغبر.. هنا يرقد رجال التقاطع . جيران الشبق المعلق . يقيمون بالقسر والقهر والمذلة .. يختنقون بالربع الصغير

المحدود ..

رفعت غطاء الصندوق . هامت فوق سطحه المغبر بعض حشرات . نفختها ثم لعب أطفال صغيرة ورخيصة . شوك وملاعق وسكاكين صدئة . لفات حبال غسيل اكياس نقود فارغه وممزقة .. وبالقعر أشياءها الخاصة .. أشياءهم والقلوب ..

شال من الحرير المطرز بالقصب المذهب ، حائل اللون . مطوٍ مأكول طرفه بشغاف الذاكرة . طاف « فرغل » تهكمت وقلبت شفتها السفلى والقت به جانباً ..

* تراءى لها « برعى » وهى ترفع بأنامل يدها الرخوة « عقُد » بلورى مطموس البريق رفعته أمام عينيها محدقة .. متصاب برعى.. ولهان .. متهدل جلد وجهه وبدنه الأجرد مخنوق الصدر ، مكتوم الشدق . خجلان أسقطت العقد فوق الشال .

* أخرجت مظروفاً أصفر . مرطب الحواف . منبهج الجوف بقلب الشاعر المسكين منتظر جواب القوى العاملة . هزت رأسَ الأسى الساخر وهى تضع المظروف تحت فخذها الشمال ..

* أخرجت نقوداً ورقية . كتب عليها بالحبر الجاف أشواق القلب الهيمان إلى لقاء مشبوب بالحب المتوهج أبداً .. وضعت الأوراق فيما بين أصابع القدمين وتأملتها ..

* أخرجت كارت بوستال . صورة إبراهيم هويدى . قاعداً قدام دكانه بتأنق تاجر يدعى العظمة ـ فقط ـ يلزمه قليل من السمنة ـ يدخن سيجارة ، دخانها النحيل يغطى وجهه الواثق . وإلى جانبه وقفت إبنته الكبرى التى تساعده فى الدكان ـ أحياناً تبتسم ـ مؤكد ـ للمصور ـ كأنما تدعوه ـ برغبة ـ ليرفعها من أسر البيت والدكان ويتزوجها .. تتمنى .. فبين البيت والدكان مسافة سقف فاصل .. تتمنى .. صورة فتوح . نائم العين والنظرة المنذرة بالشك والغضب.. يحدق فيها بقوة رأس مسطول ، مركز متأجج المشاعر . مست الجسد ارتجافة وجد عارم فأثنت الساق ، ملقية بالنقود . واضعه كعبها فيما بين الفخدين بشرود وخنق شفة . ثم أودعت الصورة فوق النهد وراء السوتيان ..

* كلمات حب شعرية مكتوبة عى ظهر غلاف كراسة كانت لابنتها الصغرى . مسحت بها شبه عرق نضح فوق العنق ..

* صورة ضائعة المعالم لأخت الولد « سيد » ابن فرغل محشورة كانت بركن الصندوق .. تأملتها بلوى شفة « شكلك مقرف » ..

* صورة لشلبى الغجرى . واقفاً فوق الشاطئ ، عارياً وخلفه كبائن كازينو جليم كمن يهيمن على البحر وزواره .. شاهداً بيده مطواة وبالأخرى نبوتاً ، يتحد سافر افتعلت الفزع ، تفلت فى

صدرها ، وأخفت الصورة تحت فخذها الشمال فوق المظروف ..

* صورة « سمر » أخت شلبى وقد رفعت ذراعيها عالياً موسعة ما بين ساقيها فى وضع راقص أقرب إلى وضع الشبق ودعوة دخول من يرغب برغم صغر سنها .

* صورة « بيوض » شقيق شلبى وسمر برداء الجيش .. لو تأكد لى أنك ثعلب وتلعب مع جسم ريده .. سأفضحك .أفضح كل الغجر . لن يهمنى كثرتكم .. أنتم أولاً وأخيراً لصوص ..

* أخرجت وريقة مطوية ، هى صورة عقد امتلاك ، دكان بأسم رتيبة عوض سليمان زوجة محمد دواجن .. تبسمت بحقد وهى تلقى برأسها إلى الوراء .. و ...وأشياء الصندوق مبعثرة بين ساقيها ..

* * *

وساق .. صباح أخر

صرخ السائق عندما نظر إلى الكيس البلاستيكى المنبعج . كان محشوراً فى فراغ جانب المقعد الأخير لعربة الميكروباص .. أخرسه الذهول وهو يتحرك للوراء مهرولاً فزعاً انطلقت عقيرته الملتاعة حين غادر العربة . صرخ بكلمات مبهمة غمرت ميدان « كوبرى الناموس » الفسيح المزحوم بالبشر . اغتالت الصرخة الرؤوس ، فأرسلت

النظر المتسائل (آ.. آه .. آ .. آه) صرخة كالجئير ، المستغيث ، المتقرز .. صرخة كمن يود محو شكل الكيس الذى انطبع بالذهن..

لم يسبق لأحد من سائقى الميكروباص ـ متغيبى المشاعر ـ أن أعلن ـ هكذا جهاراً ـ عن روع نفسه بالصراخ . عن ألم روحه . صرخه تحل محل العراك وقذف الشتائم البذيئة بدلا عن الضرب . صرخة قلب أضناه تهتك الأعصاب من السفر المستمر طوال اليوم لتعبر عن وجع القلب . تجلت فوق الوجه المشدوه بالذعر البغيض .. سائقو السيارات الأخرى يندهشون . رجال الليل والطريق ، الذين يجابهون الرياح والمطر . والقيظ . مصارعو النعاس بالدخان الأبيض والأزرق . واضعو الأرواح فوق ظهور السيارات ـ الأجرة بالنفر ـ يندهشون لصرخة زميل بالموقف العمومى ؟! ارتابوا وبدأوا يتحركون بتأهب حذر ، تاركين عرباتهم المرصوصة . كلٌ ينتظر حلول دوره لحشو سيارته بالركاب والرحيل عبر أحياء ومناطق المدينة كان السائق المذعور بأخر الصف ، وقد أفرغ عربته من الركاب تواً .. فروعه شكل الكيس توافدوا . من كل ركن من الميدان هرع البشر . يحيطون السائق وعربته المفتوحة الباب .

ـ ماذا حصل .. أحد سرقك ؟

ـ ماذا حصل .. أحد مات ؟

- .. لا أحد يعرف ..

قالها برعى الذى كان مدفوساً بين الحشد المتكاثر ، وبيده كيس معبأ ببواكى المعسل وخرظوشة سجائر .. كان تأهب السائقين قد امتزج بأصوات التساؤل

- فقط صرخ .. ولم يرد ..

- أشار لعربته ولم يود ..

- لم تكد العربة تفرغ ركابها حتى صرخ هكذا ..

- السيارة سليمة ؟

- سليمة ولايوجد أى خدش بها ..

قال السائق وهو يجلس فوق الرصيف ..

- الكيس .. الكيس .. على العربة أقساط .. حرام يا جدعان . حرام ..

- ماذا حصل يا جمعه ؟!

- الكيس فى قلب العربية . ياخراب بيتك يا جمعه ..

وبذراع متراخ أشار إلى العربة .. كان الروع قد بث عدواه إلى الباعة الذين احتلوا الأرصفة ، وتغلغل فى رؤوس رجال المرور والعسكر ، والمباحث الجائلين .. تتحرك الجميع ليصنعوا دائرة أخرى جديدة ، وقد صعد البعض إلى الكوبرى لينظروا جيداً .

- يوجد ساق فى الكيس ..

- ساق . ؟

- ساق مقطوعة ..

تشرئب الرؤوس - تراوغ العيون - لهف - الرؤية غير ممكنة - الشمس تعلو - تتهافت الميدان الفسيح يختنق بسؤال وحيد ومتسائل - ساق ؟ .. ساق مقطوعة ؟!

أغلب البشر المتواجد الآن وكان .. عليهم أن يذهبوا إلى منازلهم الموزعة بكل نواحى المدينة . وعلى الركاب أن يحملوا الخبر المروع إلى بيوتهم ..

- ساق فى كيس ؟ بالسيارة ؟!

انطلق أحد السائقين إلى داخل السيارة . شد الكيس بصدره مضطرباً .. ثقيلا كان .. هبط إلى الأرض وهو يقول يتقزز .. ساق امرأه ..

- ساق أمرأة .. ؟!

ساق مبتورة من فوق الركبة . متخثر الدم المخنوق بالرمل واللحم المتهتك . مدهونة الأظافر بأحمر قان .. وبضة .. قال البعض ، أنه سمع بوجود ساق أخرى منذ وقت قريب - بتل زبالة بجوار شركة النحاس ..

ـ ساق مثلها ؟

ـ يقولون ..

ـ أى راكب نذل فعل هذا وتركها هكذا فى عربة الرجل ..؟!

ـ ألم تأخذ بالك يا جمعه ؟

ـ وهل كل سائق يسأل كل راكب عما يحمله ..؟

ـ الطريق ملأن بأولاد الحرام ..

ـ من أين ركب ذلك النذل الجبان ..؟

ـ لو كنت أعرفه .. لو ..

ـ مؤكد ركب من نصف الطريق وتعمد الجلوس بالخلف ليتركه ..

قال السائق المندهش بروعه .

ـ أنا كنست السيارة قبل طلوعى من محطة مصر . وقبل التحميل .. يعنى ..!؟

ـ طبعا نزل ناس فى الحضرة . وطلع ناس فى سيدى جابر ».

ـ ونزل ناس فى « رشدى » وطلع ناس فى « فلمنج » وركب ناس من باكوس ..

ـ نبلغ البوليس .. أحسن ..

لكن البوليس كان موجوداً منذ الصرخة الأولى ..

* * *

تغلغل الخبر بأركان باكوس ، بنفس الدهشة الأولى والروع . تناقلته أفواه السائقين على المقاهى والطرق . قصه كل راكب لمن يجاوره . ليشيع ويفسر بأساليب تنوعت واختلفت وسرعان ما أصابها النضوب والنسيان ..

لم يعرف أحد بعد من تكون المرأة صاحبة الساقين . تأسوا . وأشفقوا . وطحنهم الهم اليومى المألوف .. حتى عندما أذاع برعى المتوجس العائد من مكان الحادث .. شكل الساق .. لم يسترع انتباه البشر بأرض الفولى غير عدة ساعات . ثم لفهم النسيان أو تناسوا .. فحادث الساق الأولى كان يقبع بأذهانهم ويحث مشاعرهم على كل التوقعات المنتظرة .. هل سوف يسمعون شيئاً جديداً . هل سيجد شخص آخر بقية الجسد ؟ بين الساق الأولى والثانية مسافة المكان البعيد والزمان القريب هل الساقان لأمرأة واحدة ؟

لم يؤكد برعى أن كانت الساق الثانية تشبه الساق الأولى . فهو - كما يقول .. لم يستطع رؤيتها من الزحام الشديد ثم أنها داخل كيس ... فكر ولزم الصمت . كما سمع بخيت هو الآخر ولزم الصمت واكتفى بشعور التوقع الذى كان يراوغه هل الندبة بالساق الأولى كانت بالبطن أو بقصبة الساق ؟ وهل كان يستطيع - فى

وجود أم ريده - أن يتأكد أو يحدد ؟ لو كانت الساقان لها ؟ أين أذن بقية الجسد ؟

لكنه لمح فى أعين الرجال - الممسوسين بالعشق - فرح مرادو . فرح من تخلص من وطء هم ثقيل يضغط على الملامح ، فقد تمنوا - في الخفاء - لو تحققت توقعاتهم وكانت الساقان لأم ريده .. لكن ملامح السرور الى تلوح - احياناً - بوجه بخيت كانت تعيدهم إلى القلق والغوص فى الهواجس . ربما ليست هى أم ريده .. وربما تنعم الآن بأحضان عاشق جديد .. وهل .. لو كانت .. سيعثر أحد على بقية الجسد ..؟

عُقد برعى

عـقـد كـان لزوجـه برعى . يزين العنق المجعـد جـيـرى الجلد ..
تتحلى به . يتدلى على الصدر الضامر . زجاجى الحبات . تنعكس
عليـه الشمس بالنهار فـيبرق ليـلاً . تلبسه فـى لقاءات الحب البارد
المتباعـدة نادرة الحدوث مع زوج متصابٍ ينفر من شكلها حين تتدلل
وتصعـد السرير .. هيكل من العظام المكسوة « بملس » ريفى أحـمر
جسـد مـتـرهـل جلده الخشن يـهـيج الدم بالدمـاغ وينيم الأعـصـاب .
بخمدها .. أين أنت من جسد جارتنا السمين ؟..

على ظهـرك مـشى الزمن .. عـود قـصب أنت نخره السـوس ..

وهى حقل من الخص الريان الطرى والذى يريح الروح . يغوص المرء ولا يصدمه العظم والخشونة وجفاف المفاصل أرهقنى حمل عظامك . كفانى .. تقدر هى أن تحملنى . أريد أن أرتاح قليلا . كفانى ..

***

فى صباح بعيد انتشر ـ بمحيط الكشك وشقة برعى ـ خبر صغير استرعى انتباه الجيران فحين تيقظت المرأة المتصابية من نومها ، لم تجد عقدها فى درج التسريحة ..

قالت وهى تبحث بشغف ولهف ..

ـ العقد يا برعى . لم أجده .. ألم تراه ؟

ـ ابحثى عنه جيداً .. انظرى تحت السرير ..

ـ نظرت .. لم أجده .. عفريت أخذه ؟

ـ لعل إحدى الجيران .. « استلفت » منك ..

ـ أبداً ..

ـ ربما وقع منك فى دورة المياه ..

ـ انا وضعته فى الدرج . هنا . بيدى ..

ـ أنت تنسين كثيراً . ربما وقع منك فى الشارع . أو ضاع فى الكناسة ..

ـ أقول لك وضعته فى الدرج بيدى ..! ولم أكنس بعدها ..

- وبعد معك .. أكون اخذته أنا .. « لطشته » أنا ؟!

- لم أقل هذا . ماذا ستفعل به أنت ؟ لكنى أذكر جيداً ..

- ربما لأصبح لصاً على آخر الزمن .. ؟!

- بعيد الشر عنك .. فى داهية ألف عُقد ..

قعدت تبكى وتندب العقد .. تبادلت الكلام مع النسوة والعجائز الذين يبتاعون أغلب حوائجهم البسيطة من الكشك . لعل أحدهم وجده ، فيحن على حزنها ويعيده إليها .

- الذى يقهرنى إختفاؤه هكذا فجأة . كان هدية غالية من برعى أيام كان يعمل فى الخليج لكن الذى يقهر القلب ويضنى الروح ، صدرها العارى الذى يتضح ضموره يوماً بعد يوم زمن ذلك قبع فى الذاكرة فى الصندوق . زمن انكشف فيه صدر أم ريده المرمرى النافر كأنه سوف يشق حوض الثوب وينطلق ليستريح فوق أفريز النافذة تتوسده الذراعان العاريتان . ينضغط ليبدو شقه القمرى . يطل مكوراً ومحشوراً . يودفقاً أعين ناظرة . يجتذبه . وهو بالجوار ينظر . تحمر عيناه .. تتسع وتضيق . تحتقن بدم يفور يتقد يرغب . تشعر هى بجسده المستعر ، التواء لسانه كمراهق أهوج ..

من القناة تبدأ السباحة - رويدا - لبلوغ البحر - الجسد المخبوء وراء جدار النافذة تنظر إليه ، وكالعادة يضحك الفم .يظهر نابها المدبب الشهى . تمد الذراع بقروش قليلة ، تطلب صابونا للغسيل..

عندئذ يترجرج النهر . يزلزل كيانك . ترتبك . توشك على الغــــرق . تراوغك بالنظر ،، والناب ، والشق . يتـــأجج بدنك الأجرودى . تحتويك نظراتهم المستبدة . تكبل لسانك تبتز مشاعرك ، تجتذبك تذيب عمرك الضارب فى عمق الزمن تقتلع جذورك ...
ولجت إلى البيت فتحت لك باب الشقة .. سحبت ترباس غرفة العيال ، ليكونوا بالنافذة . لهواً وعيوناً وأصوات تشوش على مدمنى النظر والشك من رجال الشارع ، وعيون فتوح الواقف المدبر والمنتظر خروج برعى واقفاً أنت بالصالة متلهوج الصدر والبدن والكلام أغلقت هى الباب . يده الثقيلة تتعود الجرأة والإقدام وهى تزوغ تتهرب حراكه الدؤوب المستمر أنهكه . حاول الأمساك بها . إنقاذ نفسه من الركض لحد الإرهاق والخمود . ود لو فعل فوراً .. قالت حين قبض على ذراعها.. وبهمس أزاده أتقاداً ـ ليس الآن .. إعقل .. لماذا أنت متعجل..؟!

كثور هائج ، يلهث . يعارك الجسد المراوغ ، ويعاكسه تباعد فمها النافر عن فمه المتطاول . ينشد الملامسة الإختراق المتعجل . متقد . يهمد الرأس الماتهب لحد الخوار رفع سرواله ليبدو لحمه الذى بلا شعر . قالت بصوت متهج زائف التأوه .

ـ ليس الآن انتظر .. الكشك لوحده .. العيال على الشباك ..

فكرة رؤية الجيران له وهو يلج المدخل ترعد القلب . لكن بدنه

الثقيل يواصل الركض فى مساحة الصالة بهمسه الملتاع الذى بلغ ذروة اللهف .

ـ الآن .. الآن ..

هذا أخرج من جيبه عقداً رفعه لتراه . نظرت إليه وهاجس الإستيلاء يتولاها ـ هولك .. خذية .. هولك ، خذينى . هيا أرجوك..

ضحكها الواطئ يفضح نابها الشهى . تناولت خطفاً . أودعته بين النهدين وهى تركض نحو الباب .

ـ لو شاطر خذه منى ..

وبدنه المجهد يركض ! احتواها بين ذراعيه . أخرج العقد ولفه حول عنقها و قد التصق بها . ولهاثه يلهب وجهها النافر .. يقول .

ـ أحبك .. هيا الآن . أموت فيك ..

ـ لاليس الآن ... دع هذا ليوم آخر ..

ـ أرجوك الآن لا اضمن يوم آخر ..

راوغ نصفها السفلى « لسانه » المتوقفالذى كان يلاحق المراوغة.. قالت ـ غداً . أعد نفسى لك . ليس الان ..

التصق أكثر بالجسد المتحرك . بقوة يودع فيه ثقته وإذعانه . سعاره . وقدغمرها شعور مبهر بالقوة والأستحواذ ..خرج برعى بتوهج بدن مؤجل البهجة . مستعر وشبه منهزم لامحا ،وجه فتوح

يبتسم له بخبث أيقن أنها ضحكت عليه . لعبت بحواسه، بسنين عمره . بدنه ورجولته ..

يومها ، وارب باب الكشك ، وغاب داخل بيته المتاخم له ، وخرج بعد وقت مغيراً ثيابه ومستحماً . وصامتاً . منكود البال ، كمن اطفأ لهباً حارقاً . أخمده فى المرأة المتصابية التى تركت غسيلها وتعجبت فرحة لطلبه المفاجئ ـ الآن ـ قبيل الظهر ..

قعد يختلس النظر ـ حاقداً ـ إلي النافذة مرة وإلى فتوح الواقف بالناصية يبتسم قالت لبرعى مطلة من الشباك .

ـ ماذا جرى .. ؟ أنت غضبت منى ؟

نهض . ناولها باكو حلاوة كمالوف الحال عند السؤال وليقطع شك الناظرين . قالت

ـ غداً .. لاتغضب .. لاتكن طفلاً ..

ودلو طلب منهاالعقد الذى أشعره بالقلق ، وبأنه طوق التف حول العنق . قال .

ـ حاولت أن أفعل مع المرأة . لم أستطع . لم أقدر .. أريدك أنت. فقط انت .. تبسمت . موقنة من سقوطه فى حبائلها . حارساً مهما من الحراس الجدد ..

ـ غداً . سوف تجد عندى رجولتك الضائعة ..

لكن ذلك الغد المنتظر لم يأت أبداً ..

كـوم الدبله والذراع

بكدر مخنوق كنس محمد الدكان .. لملم نفاياته من ريش وأرجل الدجاج المذبوح عبأهم داخل برميل بلاستيكى صغير . يبلغ طوله منتصف جسده المبتل. كوماً بعد كوم يضع كل النفايات . ويضغط ما طفح من زبالة فوق الحواف ويلعن بباله أمرأته التى بلغ بها الخصام والهجر حد القطيعة المنزلية .. رفضت إرسال

العيال ـ كالعادة ـ لتنظيف الدكان بعد انتهاء العمل بالنهار يتناوبون كانوا على كنس ورش الأرض ليلاً بعد تعبأة النفايات فى البرميل الذى يستوعب زبالة النهار بطوله . ثم يغلقون ويصعدون بهدومهم المبلولة ورؤوسهم المتسخة . منعتهم مؤخراً بحجة أن العمل يعيقهم عن كتابة واجباتهم المدرسية ..

استشعر الحرج واحتج لمن سأله من الجيران عنهم .بأنهم أصبحوا ينامون مبكراً . وأغلق الدكان : تذمر لدفعه البرميل إلى الشمال لفة بدفعة ثم إلى اليمين لفة بدفعة ولأن الأرض لم تزل طينية زلقة . مضعضعة . انتابه شعور بالتعب والتوجس . كان قريباً من الزقاق المستطيل المؤدى إلى شارع السوق العمومى . والمقلب .. انحنى الجذع ، مقدماً المنكب نحو البرميل ـ وكان بإمكانه نداء أى رجل لمساعدته ولأمر بنفسه رفض ..أمال البرميل قليلاً إلى الوراء . ثم

نهض رافعاً .. ثقيلاً .. أكثر ثقلاً مما كان عليه منذ شهور . الآن ، ينوء به العنق والظهر .. لكن لابد أن يفعل وإلا أصاب الدكان العفن ، وقتل الدجاج البائت بروائح الدم والريش و الأرجل والمصارين ..

بالرغم من مواراة رأسه وراء البرميل . كانت عيون الدكاكين المفتوحة بطول الزقاق تدرك أن هذا البرميل الملوث بالدم ـ باهت الزرقة ـ يخص المعلم محمد . ومحمد يتخفى وراء البرميل . ولا يلقى تحيات المساء . تعجبوا لماذا يخفى نفسه ؟ هل لأنه يحمل برميله بنفسه . ؟

أم أنه يتوارى لشئ آخر لايعرفونه ؟

والعنق مع الظهر عند مروره من قدامهم . لقد افتعل القوة الخائرة . صحة زائفة لعقتها قلاقل أفكار رأس ينتظر فك الخصام والهجر .. سادرة هى فى العناد . امرأته تمده كانت بالقوة وراحة البال وإزالة شوائب الدم بعد رحلة الغوص فى الجسد الطيع .. صدأ التوقف ، تخلل المفاصل . طاقة كان . تعطلت . يتجمد فى العظام النخاع . كيف ترضى ويعود صفاء زمان . ؟

أقسم بعشرة الزمن والعيال . بأنه لم ينل ، ولن ينل شعره من أم ريدة . لكن مجرد المحاولة تكفى للحرمان والقطيعة ..

حين اقترب من مقلب الزبالة الذى يتكونّ يومياً عند رأس الزقاق وأول شارع السوق تولاه هاجس الخوف . أيمكن أن يراه جيران الكوم من السكان وهو يلقى الزبالة ؟؟ أهم يراقبون من وراء النوافذ الموصدة ؟ .. ألهم ثقوب بالجدران يرصدون منها كل مخالف ؟ لكن رغم ذلك ـ وعندما يغفلون ـ يجدون الكوم يتكونّ . ويكبر ، ويعلو: حاذر متوجساً وهو يتقدم بخطوه الحرج .حرج أرهقه لحد جعله يتمنى لو ألقى البرميل بحاله أرضاً وركض . لكنه أمال البرميل بسرعة هاجس الخوف .. أفرغه مع توقع المداهمة .. ثم رفعه مرة واحدة ليكون فوق المنكب . ولى ظهره للكوم . وأسرع .. عائداً ؟..رغم أن الفزع قد باغت الزبال ، وساور نظره المرعوب المحدق ، وعقد لسانه. وثبت اختلاج الوجه ، ألا أنه لم يفكر فى الابعاد عن الكوم، أو لفظ أى صوت ينبئ عن الفزع ويجلب إليه البشر ..

برعبه ، انحنى . وبيد مرتعشة . مكرهة . نبش فى منتصف الكوم .. أحقا ما يراه مدفوساً الآن بين النفايات ؟ أصابع يد مطلية الأظافر بدهان أحمر . مع الوسخ وبقيت الذراع مخبوءة ؟ أكثر ماشد نظره المحدق «دبلة » .. دبلة ذهبية تلف أحد الأصابع المزرقة والملوثة بالدم الناشف ..

كان قد استوعب فزع المباغتة ، وتنبه لمن حوله والكوم من بيوت

ودكاكين و عربات باعة السوق المغطاة بالخيش .. كان الصباح يتمطى ويصحو وينشر ضوءه الذى راح يوقظ البشر .. بدنه الذى تصلب ثابتاً لم يزل بمكانه . انحنى مرة أخرى و مد يد الإرتعاش . بحذر المتوقع حدوث فرقعة . سحب الأصبع . لم يتحرك :أثقال تراكم الزبالة تضغط على الذراع . اطمئن قليلا وعاود شد الأصبع . خيل إليه أن مفاصل العظام قد تحللت مع اللحم ويمكنه أنتزاع الدبلة .. بقوة الخوف شد . فاستجاب الذراع الأملس . وحيداً ومبتوراً عند موضع الكتف . متهتك الحواف حول عظمته المهشمة المتوقف عندها الدم المسود تكاثر خوفه مع شعوره ببداية انبعاث الصخب بالشارع .. خيل إليه أن الرجال والعيال والنساء والباعة الذين يتعاركون دوماً لتكوّن الكوم خفية . ويعانون الإقتراب منه . يقتربون الآن ويطلعون عليه وما يفعل . فارتعب ونثر بعض النفايات على الذراع تاركاً اليد واضحة ...يستطيعون الآن أن ينظروا . ويفكروا . ويتصايحوا ويملأوا المنطقة بالصراخ المذعور ، وربما يتهمونه بأنه جالب الذراع ، ويعرف من أين جاء بها ، فهو الذى يجوب المنازل بقفته الكبيرة فوق الكتف ـ يصعد ـ مع كل الظروف ـ يفرغ الصفائح المركونة إلى جانب أبواب الشقق وفى المداخل . فى ظلمات السلالم والمناور يرفع الصفيحة المشحونة بكل

أنواع الزبالة . يدلقها فى القفة . ويجئ .. أيمكن ؟؟! أيمكن أن يكون قد شال الذراع مع زبالة احدى الشقق وهو غافل . أمعقول ؟! وأية شقة ؟ وأى بيت ؟ أمعقول ؟ لكن الكثير من السكان يأتون بزبالتهم بأنفسهم توفيراً لقروش الزبال الشهرية .. و . عليه أن يبادر بخلع الدبلة . أن يخبئها ويرمح ، قبل مجئ عربة الرفع الكبرى وقبل حضور الملاحظ الذى يمر أحيانا فى مثل هذا الوقت من الصباح ..

بمواجهة : الكوم أقعى بتوجس ، فكر فى قطع الأصبع وهو يخرج نصل سكين مكسور . جزّ اللحم المتورم حول الدبلة ، وقد أنكفأ على أسفل الكوم ساحباً الدبلة مع مزق متهتك .. مسحها . ثم لفها فى وريقة ونهض .. حمل قفته الفارغة ، حث الخطو الوئيد المرتجف . متوقعاً وضع يد فوق كتفه تتهمه بالقتل و وتقطيع الجثة. مد من خطوه .. حين ابتعد . أسرع .. كاد يركض ..

* * *

انطلقت قطط كانت تموء فى مكامنها المحيطة بالكوم . من أسفل العربات جاءت .. من فوق دهاليز البيوت . وأسوار المدرسة القريبة .كانت تنظر وتراقب وتنتظر انقشاع الزبال لتتاح لها فرصة الانكباب وتناول وجبات الفطور اليومية .. كنمور شرسة انقضت .. ترتقى جوانب الكوم .. تتسلق ، بحثاً عن السمين . مخالب تنبش

قوائم تبعد وتزيح مالا يجدى . بالأفواه تغوص . تفسح طرقاً إلى المصارين المتوارية ..صادف الأنوف لحم متهتك لذراع مقطوع .. تولت عنه إلى حبال المصارين المتكومة .. صراع فمِّى يدور . انهماك . يأكلون بشراهة الخوف والحذر .. عند شد الأفواه للمصارين ، كانت تنهال إراكمات الزبالة وتفرش فراغات حول الكوم وأخرى ـ من علٍ ـ تتهاوى . توارى اجزاء من الذراع .. و..

طفل صغير يقترب . يسحب . كلباً كبيراً ضالاً . مربوطاً عنقه بحبل دوبارة طرفه بيد الولد . هبد الولد بقدمه على الأرض مع صوت مدو أخرجه من فمه . فزعت القطط بالمبالغة . ارتعبت مع رعب الكلب الذى تحفز .. ركضت متفرقة وهى تسحب .. بالأنواه حبال المصارين بالوراء . ليخلو الكوم للكلب .. انطلق يصعد بقوائمه التى بعثرت ألكوم مفسحاً سكة . موزعاً الزبالة ، تحت نظر الولد الذى يرصد ـ بفرح ـ انياب الكلب والمخالب . يفترس أرجل الدجاج . يبتلع بنهم . ينبش . وقد ترك له الولد الحبل بمد يده مع ذراعه مقترباً ..

قضم الكلب أصبع أدمى صادف انيابه . متقززاً تركه عاود النبش من أسفله ليخرج الأرجل المخبوءة . بلحظة أطمئن فيها الولد فضحك لكلبه وأخرج عضوه الصغير .. راح يطرد خطا من الماء

مقوساً . يرفعه وينزله ويره على جانب من الكوم الذى تبعثرت زبالته . وهو يراقب البول وقد بلل طرفاً غريباً من لحم أملس بول راح ينزلق فوقه !

اخفى الولد عضوه برفع سرواله . انحنى بذعوه مقترباً من الكلب، ليطالع أصابع كف أحدها ممزق . شد الكف ليبدو الذراع مع صرخة ذعر وذهول . صرخة أفزعت الكلب ، ففر هارباً ساحباً خلفه حبل رقبته راكضاً بين ابدان البشر المهرولة ..كانوا يجئيون تباعاً ليحلقوا كوم الزبالة والولد . الولد الذى تسلل برعبه ليبحث عن الكلب الذى فر فى غفلة منه ..

* محمد .. دواجن *

أهاجنى لحم جسدك .كاد يخرب بيتى ـ لحمك الأبيض المربرب من لحم دجاجى المذبوح لك بلا ثمن وعن طيب خاطر . كنت تأخذين مصروف بيتك من بخيت جار السوء وتأتين لشراء الدجاج . تلفين رأسى بضحكه ونظرة .. يذيبنى شق النهد الناصع ، يطل ويخنق مشاعرى . ابتلع ريقى . وأنت على باب دكانى . يراودنى الشوق لشفتيك المصبوغتين باللون البنى الغامق ينفتحان بالكلام . يظهر الناب ـ وينغلقان على طرقعة لبان . تستفزين كيانى المتوهج تحت ثيابى الملوثة بدم وريش الدجاج . تساورنى رعدة مراهق يعرف أن

وراء صدر الفستان دجاجتين بيضاوين يربضان . آه . لو انطلقا يرفرفان فى رأسى . يشعرانى بالجوع والعطش .. أحاول (امسكهما) يهربان منى .. يراوغان . والسكين منصوب بيدى بعد ذبح الدجاجة .. وزوجك الكواء الذى يجاورنى دكانه ، لا يعنيه سوى أكل الدجاج .. ألقى بالدجاجة المذبوحة فى ماكينة التنظيف وكان المفروض وضعها أولاً فى صفيحة الماء الساخن !! تضحكين لارتباكى ويطرقع لبان فمك ويرتج جسدك والدجاجتان فى الصدر..أودلو أقبض عليهما . لأدخلهما العشة :

تتركين دكانى وظهرك يخايلنى بتكوينه العجيب ، وكأن ليس بالتقاطع نساء سواك .. أرجوك الرأفة والحنو .. جسدك الماشى يأخذنى وأغيب عن زبائن الدكان الذين يتعجبون لفقدان وعى رأسى . النساء ينظرن بمصمصن الشفاه باستجهان مستاء وكأنهن لسن نساء يتوجب النظر إليهن على الأقل كزبائن ينفعن الدكان ..

أنا الرجل المتزوج أبو العيال .. بينى وبين بيتى سقف الدكان . أصعد احيانا بعز النهار ـ حين تتركينى بتوقد بدنى ـ أدخل فى عمق الزوجة المتعجبة لحالى . أطفئ بها التوقد . لكن عطشى لايرتوى ولا يشبع . أنت فقط التى سوف ترويننى . خذى دجاجى وأدخلينى فى عشك .. هل تعرفين أننى أخسر يومياً ما أكسب من

البيع ، فأسحب من رأس مالى المدخر لأدفع مصروف بيتى ؟ واضطر لتأخير دفع نقود التاجر الذى يمدنى بالدجاج .. ذات يوم ، شعرت أمرأتى بذلك . عندما جاء التاجر . وطالبنى بالنقود علنا والإ قطع إرسال حصة الدكان من الدجاج . فأين تذهب النقود ؟؟

لفقت لها حكاية مرض الدجاج وموته بمجرد تواجده . لم تصدق وتهكمت بتحفز قطة شرسة . لماذا دجاجنا فقط الذى يموت دونا عن كل الدكاكين الأخرى ؟ تعرفين أن الدكان مكتوب بأسمها . وهى تبادلنى الوقوف به والعمل عندما تكون هناك مشاوير .. زوجك الخائب المتفاخر بعماه يكاد يوقع بى « معها » حين يتحدث بافتخاره العبيط بأن زوجته ـ أم ريده ـ قد أبتاعت أمس الدجاج ، وقبل أول أمس .. و . يقول مبسوط الخاطر وكأنه ينفعَ جاره الذى هو أولى بالشفاعة ..

أدركت زوجتى أن بالأمر سراً . كيف يأكل بخيت البخيل كل يوم دجاجاً؟ أوقعنى فى بؤرة شكوكها لم أجد غير الضحك المزيف لأدارى به خيبتى وارتباكى . راحت تراقبنى والدكان من النافذة . هل تأتى أنت إلىّ ؟ ضربت حوالى حصاراً مريباً .. ثم هجرت سريرى .. أنت ملاذى من العطش والحصار .. قبلت التحدى بالتحدى . فلتأخذينى . وتأخذى الدكان فقط .أدخلنى عندك»..

- هل تعطينى الدكان بحق ؟

- أنا .. والدكان .. والدجاج ..

- وزوجتك .. والعيال ؟

- خنقة بالنهار . وخنقة بالليل . زهقت .

- مسكين يا روح قلبى . غلبان ..

ارتجف لحلو الكلام .. مديده لجيب بنطلونه وهو يميل بجسمه قليلاً نحو اليسار فوق الأريكة ارتجف الجسم المائل . تقدمت تعدل جسمه الموشك على الوقوع ..

- يا روحى . أنت هكذا ضعيف ؟

كان الجيب قد لفظ المحفظة ويده المرتجفة التى كان يحاول بها إخراج ورقة الدكان تناولتها بتهكم المنتصر بعد تعبير لسانها الثعبانى وأنت هكذا ضعيف ؟ تعبير سكن فى الدماغ وأشعره بالخوف الدفين ، وعليه أن يثبت عكس ذلك . قال .

- أم العيال تعبت أعصابى .. أمرأة مقرفة .. لكنى قوى ..

- هل تجعلك تفعل كل يوم ؟

- وأحيانا بالنهار .. عندما أراك ..

- صحيح هذا عقد الدكان ..

- نعم .. هو . هو . هو .

على طرف الاريكة يرتعش بالشبق . مرتبكاً .. يتطلع لجسدها شبه العارى الماثل أمامه

ـ لكن هذه صورة العقد .يا حوحو ..

كطفل كان يخشى الأقتراب من دولاب كهربائى قد توقف بوسط الصالة الموصد أبوابها بالترابيس ..

ـ غداً .. صدقينى . أجئ اليك بالأصل . تعالى ..

مع الجـــسد يرجرج الصـــدر برأسه يهج الدجاج .. ودلولمس .. لو صْعق .

ـ هل الأصل عندك بحق ؟

ـ نعم الأصل عندى فى البيت . هيا .. تعالى ..

لولامس الجسد . ليجابه الموت الجميل بالتيار الصاعق .

ـ الأصل أكيد عند زوجتك ..

ترعده رغبة تأججت منذ فكر فى الدخول إلي البيت . رغبه ماجت بالدماغ الحواس . أمحت من الذاكرة كل العالم . هو ـ فقط هنا . معها . في ظل أشواق وظلها . يتوق . يتوق والوريقه . بين الانامل . تودع برقه فوق بياض نهدها الايسر فوق القلب . نهد يفيض .تعمد البروز مع خروج اليد . فآهتر شفط لعابه وهى تدنو من بدنه المتحفز المشتاق المتلهف ..إلي البطن تضم رأسه . فيميل

.. يحنو .. يحنو فوق الصدر ، ليستكين لحظة . يتوه يغيب . تتمكن . مطمئنة الفؤاد . هو لها . لها هو ..

رفعت دماغة . لتعيده إلى الوجود يستعيد فحيح صدره متوالى الخفقان . موشك على التوقف ليكف لسانه عن التلعثم المشوش . بقوله البغيض المتكرر . الصاعد ـ محموماً ـ من أسفل بطنه الآن معلهش . دالوقت .. وهى تتحرك ويد المستبدة تبقيها دالوقت تقول وظهرها الذى غطاء ، يزلزل العصب .. البنطلون .. انتظر . اعمل لك شاى وبعد الشاى نفكر ..

يبصر الظهر المؤخرة .. تتأود . تمد الساق بالفخد ترتفع ناحية وتهبط أخرى .. يقيناً الوقت .. يحتك ما ينهما .. بغته . وثب . قبض على الذراع يشدها . فزعت .

ـ أنت مجنون ؟!

تباعد مبلول البدن مكسور الخاطر . كيف نز العرق منه ؟ عرق لم يعهده بنفسه من قبل ولا عهد له بانسكاب مياهه بلحظة ملامسة عابرة بلا ممارسة، فقط قبض على الذراع وشاهد عرى ظهرها .. كيف ارتعش وحسّ بالأرتعاشه . وأفاق ليساقط داخل ثيابه . يستدير كالنائم الحالم النادم . يوارى بقعة بنطلونه المقفل . بقعة لزجة . تتسع بالخجل والمغادرة كلص يتوخى الحذر .. لكنه

خـرج. ولـم تتح فـرصـة لفك حـتـى ذر من بنطلونه .. لكنه خـرج .
حامداً لليل سدل ستائره السوداء المبـقعة ، ببعض أنوار باهتة خالها
نوافذ وعيوناً فتُحب تحت الشرفات ..

* نسج شال فرغل *

فوق السرير ، تتمطى . تفغر فاه الشبق بلون الدم . تفح وهجاً
على شكل تثاؤب ترمى ذراعاً إلى جانب برغبة موءودة ، تتأوه ،
تلفظ اشواق الجسد تنهدات . تاق الصدر لمطارحة الحب والأرتواء ..
انطرح الجسد المكشوف لقشور السقف الهابط . فوق الروح .
مكشوف لغبش المرآة ، والنجفة المشنوقة ، ولأحشاء دولاب مخلوع
الأبواب والصندوق ، محاطاً بأشياء رجال العشق . حراس القبور
وعيونه . باعثو السلام المطمئن لتجاويف الدماغ . الصامتون خوفاً
وكمداً .. يتقد الحرير الأحمر فوق الجلد الأملس محسوراً عن
الفخدين القميص ، إلى حد الخصر مرفوعاً . ثنت الساق اليسرى
فالتصق الفخد بلحم الساق لترفع الساق اليمنى ليرتاح الكعب على
الركبة اليسرى وقد ارتفع الشال المعلق بأصبع القدم المضموم . شال
حرير مشغول بالقصب . انسحب تدلى واهتز . طرف على الفخذ ،
وطرف أخر على الساق . بأنامل التأفف ، أدنت الطرف من انفها .
تقززت . طوحت بالشال ليصدمه الحائط المجاور ويتكوم بسكون

بجانب الصندوق الآن . يخرج ذلك الزمن . يلوح فى جو الغرفة . بزناخة ورائحة العفن ، يتراءى ، يتجسد الولد « سيد » بجسده القصير القوى .. يطلب اللجوء الليلى والكمون ، ينشد عبور القبو.. بعد سعى دؤوب وراء الجسد القريب البعيد . يفضل الجسد والولد سيد جدار .. والليل كان معلقاً برأس والده فرغل . ذلك العجوز المتصابى الذى أثمر بدنه الجنوبى اطفالاً صاروا الآن رجالاً ، منهم الولد سيد كبيرهم الذى يظن أن كل العابرين إلى البوابة يولجون الجسد . كان يراهم ويغض البصر . يدخلون .. يتعامى ويخرجون ، فشعر بأن أوعيتهم النخاعية استلبت .. لم لايفرغ هو الآخر وعاءه الطافح ؟!

آه .. لو تنفجر أسطوانة الغاز بهذا البيت الداعر .. آه لو احترق. آه لو يعرف أن الشال قد احترق . شهادة الفسوق الماجن على عجوز متصابى قد خدعه البدن الشيطانى وهى .. أمنية كانت برأس فرغل . تنهش فى القلب . ربط اللسان عما يحدث بالداخل. لو تأججت النيران ، سيركض لغلق الباب . يمنع كل الأفاقين المهرولين لإخماد الحريق لتأكل النار رائحتهم جميعاً . ليشتعل البيت والبيوت المجاورة و بيته المتاخم وكل الدنيا فقط يعرف أن شاله الشهادة قد احترق شاله المزركش الحريرى المقصب . معروف

لكل البشر المحيطين به ، وبها . شاله الغالى الذى جاء به من أرض الحجاز . شاله الذى تأنق به وتألق بين الرجال ، فى أفراح المنطقة ومآتمها . شاله الذى صار .. بعد ضياعه حديث التعجب الساخر بين أفواه عياله وزوجته الجنوبية الخشنة أين شالك يا أبى ؟ يقول الولد سيد بخبث العارف والمرأة المسترجلة تتهكم أخذه الغراب وطار ؟! شاله الملفوف حول الوجه الناشف الموصوم بالجدية المفرطة والتجهم - الآن تغير قبعت السكينة المذلة داخله بالتلافيف . قتلت بوادر البهجة إن لاحت بالقلب . انطبع باللين الهوادة وعلائم الانكسار .. لم يعد يشارك الرجال الذين يجابهون الدخلاء على المنطقة - بأحيان المعارك - بالهراوات والسيوف والسكاكين .. الآن ، أصبح أول الموصدين لدكاكينهم أول المحتمين بظلال البيوت والجدار أول الملبين لذراعات النسوة . يلبى نداء أم العيال الفزعة أن يصعد ، فيصعد..

منذ انساق وراء رغبته اللعينة كحيوان طيع وأليف - تابعاً لسيده - مشدوداً برغبة تطغى على الدماغ . رغبة لم يكن يخمدها بدن أم سيد المنطرح ليلاً - دائماً - منذ ثلاثين عاماً - إلى جواره كجوال دقيق مخلوط برمل ..

انساق والجأ المدخل بحجة السؤال عن الولد سيد الذى اختفى

فجأة بالليل عن التقاطع . اختفى منذ ساعة . فقط ساعة .. كان الشال حول الدماغ ملفوفاً وكانت الرغبة تكاد تطل من العينين الحمراوين .. كقط تسحب بجانب الحائط . هو الفارس المغوار . ونحيف البدن قصير. عود قصب زرع فى الجنوب ، لكن الزمن امتص منه السكر ، ولم يزل ناشفاً مغواراً والليل يغطى التقاطع . الليل البارديزج البشر إلى البيوت . يخبئهم وراء الجدران .. تسحب.. بين مدخل بيته ومدخلها خطوة . لكن تسحب ملتهب الرأس .. ينبغى اختيار الكلام الذى سيقال عند مدخل القبو .. خالياً كان البيت .. بخيت يقضى ليله الآن بالمقهى البعيد ، يبيع الكلام والمواعيد لطالبى الشقق .. أيقول أنه جاء فقط ليسأل عن الولد سيد ؟ بماذا يجيب لورآه بخيت بالداخل ؟ وهو العجوز المضعضع . أيقول له ، يبحث عن سيد ؟ وما الذى جاء بالولد سيد؟ وبعز الليل ..؟

بيد التوجس والتردد ، مدأصبعين ودق الباب الملوث بوسخ الأيدى والزمن .. سيد ولده البكر .. مسرحاً كان من الجيش منذ وقت قريب .. دقاً يشبه خفق قلب خائف . الولد جائع إلى النساء .. دق .. الولد ينتهك أبدان النساء بعيون رخوة . يرتقى المؤخرات. الصدور لاهثاً بموقعه قدام الدكان . يكاد يرتكب

المحرمات .. لكن أمه المسترجلة تراقبه . تثنيه بالنظر ، فيضحك ويصمت .. راوغ القلق صدر فرغل . الباب لم يفتح الولد تغير بالأيام الأخيرة غلف نفسه بهدوء الواثق من أنه هو المرغوب والمطلوب .. كان السكون يحط عليه ، واقفا كان أو قاعداً . وحبه الجديد وامتثاله للسرير وثباته القلق فى النوم والغطيط أين يذهب الولد ؟ ماذا يفعل ؟ يغيب عن الأنظار لمدة ساعة ، ثم يظهر بعدها كخرقة مبلولة ومعصورة .. أيزور القبو خفية ؟؟ ! .. سمع ترباس يسحب .. كان الولد يقف بوله أسفل شباك أم ريده . يتحدثان - كانا - تحت أعين البشر . هى تطل وهو بالشارع ينسى الوجود .. سمع فرغل وقع قدمين وصوتها النائم .. طيب .. طيب .. الولد سيد لم يزل صغيراً. أدى الخدمة العسكرية .نعم لكنه لم .. سمع مفتاح يرشق . وترباس آخر يشد . الرجل الكبير أكثر حنكة وإدراكاً كتوما عالماً بقيمة المرأة .. نبض قلبه ارتفع حين انزاح الباب عنها . وقفت كالمأخوذة بمباغتة الزيارة .. افتعلت الدلع ، وأخفت بروز الصدر المتمرد على حوض القميص القصير .تراجعت دون نطق مدركة سبب مجيئه الآن . ولت ظهرها الرخامى المكشوف . وهو يخطو بمهل غصة مربكة غصة سلبت الروح وأنهكت الدماغ .. عضت شفتها السفلى بخجل كسول تاركة له حرية ترك الباب

وإغـلاقة . فـأغلـقـه .. تبسـمت و بذراع مـرمرى تـزيح ترباس غرفة النوم .. قالت وهى تدفع الباب بوهن

- مالك ؟ خائف ؟

قال وقد أحس بحفيف القميص فوق جسدها تبعها بنظرة كطفل يحن لحضن أمه الولهى

- كنت ابحث عن الولد سيد .. قلت ربما .. يكون ..

دخلت غرفة النوم ، وعادت لتجده متهدج النفس . قالت .. بغنج .. وهى تتغل فى صدرها .

- أفزعتنى .. يارجل . اعتقدت بخيت هو القادم ..

- وهل أستطيع الدخول وبخيت هنا ؟ فقط أسأل عن الولد سيد..

- وهل السيد لدى .. يارجل اعقل ..

لامست بدنه بتعمد وهى ترفع الذراع ويشب الجسد ليرتفع القميص عن الخدين . تشد ترباس باب الشقة . لينبهر فرغل ، ويلفه الصمت . مضطربا - اذ توافق - ضمنياً - على بقائه معها ادخل ياعود القصب الناشف - يانابض القلب المخضوض اتبع قربة اللبن الرائب . سيد من ذلك الذى جئت تسأل عنه ؟ سيد من ومسامك تنزف عرقاً وشهوة تسرى برأسك المقمط بشال لم يعد

يجدى لإخفاء سخونة جلد وجهك المغضن . اخلع . قال بصوت التهدج المرتبك

ـ الولد سيد .. سيد .. هل .

مفغوراً فمه . مفكوك المفاصل .. يتبع القميص الشفاف . ولجت غرفة النوم وهو بالوراء . و من الداخل سحبت ترباس الباب وهى تخمن أنه كان يدرك ـ رغم اذابة مشاعره ولهشه أن الولد سيد موجود بالفعل هنا داخل الغرفة ؟ على طرف السرير وضعت العجيزة فأنحسر القميص ، وبدلال يقهر القلب الملتاع قالت ..

ـ وهل أحد قال لك أنه عندى ؟

واقفا كان فرغل مبهوت النظر وحدهما ، والفراش . قال

ـ كان واقفا امام الدكان ثم اختفى فص ملح وذاب .

حاولت .. سدى .. شد طرف القميص على عامودى الرخام فانسحب حوض القميص عن الصدر ليرتج رأس فرغل وهى تبصره بطرف خفى ، ضائع الروح . قالت .

ـ قالوا لك أننى اتبع الشبان .. يا فرغل ؟ كل من يتوه ابنه يشك فى انا ؟!

تناوره .. ساوره شك . أتريده هو . فقد مالت قليلاً إلى الوراء ليخرج النهدان عن حوض القميص . قالت وهى تتلوى ..

ـ تعال . تعال ، فتش هنا . ربما خبأته تحت أبطى ..

اصطبغت عيناه بالحمرة .. ابتلع طفح لعابه .. قال « الولد صغير . الولد صغير) قالت (هل هو طفل) قال (أنت أدرى) قالت بخبث (أنا لا أعرف . هل تعرف أنت ؟ قال وكان يحث الخطو الثقيل (طبعاً أعرف الرجل المجرب أفضل) قالت (وهل انت أفضل ؟) قال (كلك نظر) قالت (لذلك جئت ؟) قال ملهوف الروح (جئت لك) ولأن الجسد لم يزل يتحرك يتموج مع الرأس والذراع . ولأنه لم يزل واقفا بكيان ذائب يودلو يحتضن . لو امتزج. لو انصهر . رفعت طرف القميص ليظهر الفخدان بأعلى قالت (تعالَ فتش هنا .. انساق بتوهج اللهث ـ يدنو تتحرك تدرك أنه قد انتهك لحد التراخى .. قالت له أن يخلع شاله . فخلع الشال أن يخلع الطاقية . لكن يده طوحت بالشال فوق السرير . ورفع طرف القفطان ليخلعه . فانطلقت الى زر النور تخمده (انتظر حتى أغلق الباب الخارجى . اصعد فوق السرير فى الظلام الذى أطبق تحسس طرف السرير ومشاعر التوهج تخبو رويداً مع الظلام .. و..

وكانت يدها الممتدة عبر الظلام ، تسحب الولد سيد من تحت السرير ، فانحنى الولد بهدوء وحذر ونفس مكتوم ، ليزحف بخوفه وغباره نحو الصالة ، ثم باب الشقة فسحبت الترباس واغلقت

الباب بوقت انكباب الصمت على الظلام والرجل المنتظر الذى أخمد رغائيه صوت الترباس والباب والظلام .. وثب كقط مفزوع ليكون وراء الباب مبلول البدن . بقول.

ـ هل جاء أحد .. ها.. أخرج أحد ؟ .. يا خراب . يا خراب .

أوقدت النور بأصبع حين لمحته مختبئاً خلف الباب قالت (اسم على الرجال .. ؟!)قال (رجال ؟.. وهل تبقى لدى أعصاب رفعت ملاءة السرير . فتحت الدولاب قالت (تعال فتش .. هل سيد هنا.. طبعاً لم تصدق ؟ قال أريد أن أخرج اخرجينى كان قد تبول فى قفطانه . قالت هل الولد سيد مثلك هكذا خرع ؟! قال بهدوء مصطنع ومرتبك (هل جربت الولد سيد ؟ سيد عيل قالت أنا أحب لعب العيال . فقط نلعب عسكر وحرامية قال الولد سيد أفضل ؟ قالت أسأل نفسك

كان يشعر بالتضاؤل والانسحاق الخجل المذعور .. منسحباً ماداً يداً لمزلاج الباب ، مدارياً نفسه فربما تلمح قفطانه المبتل بالبول ..

* * *

حين أفاق الولد سيد من الدهشة المقرونة بالخوف ، فكر بأن عظام أبيه تسحق بالداخل عظام الرجل الهشة تطحن لابد ـ الآن تحت الجسد الناعم . هل جن الرجل ؟ لابد أنها تلعب بالبدن العجوز

الضيئل تمتصه . لم يغادر السيد مدخل البيت بعد . هرول إلى الباب عائداً ودقه مرة وانتظر بتحفز قلق.. تقازم فرغل بارتعابه ونظر إلى الباب الموصد ودق الباب مرة أخرى .. دق بحنق ينمو اشارت للرجل المبلول أن يهدأ .. ارتعش أبخيت هو الذى يدق؟ فكر فرغل .. وسيد يدق .. أبى سيموت بالداخل تمتصه بالداخل قالت لفرغل لاخف يا رجل .. سوف تخرج ولن يراك أحد صوتها المتخابث المراوغ أرعبه أكثر قال ..

« كيف .. كيف ؟!) كان الدق المضطرب المتقطع قد تدفق .. لبرهة .. ليأتى دق أخر مألف لهافراحت تدفع فرغل كطفل مذعور نحو دورة المياه زجت به إلى الداخل برفق مطمئن قالت هذا بخيت لاتخف انحلت المسألة اين الرجولة يا رجل ؟ واغلقت باب الدورة وشدت ترباسها العلوى .. وعصيت رأسها بأيشارب . وفتحت الباب ليكون مواربا .. كان سيد واقفا إلى جواره مصعوقا بالصمت الحانق الذى امتص منه الدم ليبدو مهزوز البدن المصفر ..

ضحك بخيت لوجهها المطل خلال الباب الوارب قالت ماذا تريدان الآن آنا عندى ضيوف ؟ ببلاهه المعتوه سأل بخيت المبتسم لوجه سيد المغتاط وقال عندك ضيوف . من عندك الآن ؟ الساعة الآن الواحدة ؟! قالت مداعبة مظهرة له لسانها (شئ لايخصك يا

بارد عندى صديقة افهم يابارد قال وهو يتقدم خطوة كمن يود رؤية تلك المرأة أريد اراها فقط .. حلوة ؟

دفعت بدنه المتقدم بخبث وقالت بميوعة الشبق (ارجع قلت يا أخى .. هى عندى نعمل ..) ضحك ونظر لسيد ، كالمدرك لما يحدث بالداخل .. (أكيد تعمل حلاوه ..) دفعته مرة أخرى بذراع غافل معصمه الناعم وخطف منه قبلة وضحك وهى تقول (اختشى يا بارد على دمك .. هى حلاوة .. حلاوة ..) وأوصدت الباب على آخر نظرة إلى سيد المخنوق بالحقد .. فى تلك الليلة ، حين سحبت الترباس ، وفتحت باب الدورة ، وجدت فرغل منهك القوى . مرتعش . مرهق . مخنوق الروح . موشك على البكاء . متوجه - بصمت - نحو الباب بثوبه المبلول ورائحة بوله . تاركاً بدنه المدفوع بيدها ليسرع . ناسياً أنه جاء بشال الى هناء شال حريرى يزين أطرافه الذهب .. و ..

فى الليل الموغل فى القدم والسكون . سمع تداخل أصوات واضحة ، صوت فرغل الصائح ، وصوت الولد سيد الزاعق . الرجل يضرب ولده بقسوة الجنوبى المقهور . والولد يسأل بخبث عنيد (أين شالك يا عجوز ..؟) والأم تصرخ أن يصمتا والأخوة المتأففون بضجر يصرخون .. (أين شالك يا أبى ..؟).

أم ريدة فى قبوها الموصد ، تضحك وتوارى الشال فى الصندوق..

رحلـة المذهـول

بطيئاً ، يزحف القطار . ينتشل ركاب الصباح من فوق الرصيف. يبتلعهم فى جوفه ليصيروا كعجين ساخن تفوح منه روائح العرق والزهق والعفن . صراخ الأرواح المنضغطة ينهرس بقرقعة صوت القطار الذى يغادر ـ فجراً ـ أول محطة وهو شبه فارغ ، إلا من بعض أفراد تفرقوا فوق المقاعد . يعالجون الخمود والتثاقل بتبادل الكلام المقتضب والنظر إلى خارج النوافذ أو إراحة الأدمغة على الجدران لاقتناص دقائق من نوم مراوغ .. وكانوا يلمحون الكيس .. الكيس الموضوع على الرف الذى بمنتصف العربة. كيس بلاستيكى أسود ومستطيل وملفوف جيداً .. وحده فوق الرف .. كان أحد القاعدين بأسفل الرف قد نظر إليه وهو يقاوم نومه المتقطع مفكراً .. الكيس ـ يخص أحد الركاب الآخرين . ربما ذلك الرجل الذى يجاوره المقعد ..لكن الرجل الذى يجاوره ، فكر هو الآخر . أن الكيس ـ لابد ـ يخص أحد القاعدين بالمقعد المقابل ، أو يخص جاره الذى يقاوم النوم ، فهو يفتح عينيه أحياناً ويختلس النظر لأعلى ويتناوم لكن الرجل المجاور انحنى عند اقتراب أول محطة

وشد قفصاً صغيراً من تحت المقعد به بعض أوان بلاستيكية ملوّنة وهبط .. بالوقت الذى تسابق فيه راكب آخر وقعد وقد لمح الكيس فوق الرف .. فكر الرجل ثقيل الدماغ . أن الكيس ـ الآن .. يخص أحداً آخر ، فأسند رأسه إلى الجدار . رأسه المطبوع بداخله شكل الكيس وما يحوى .. ماذا يحوى بداخله ؟ وأغمض عينيه مفكراً فى لفظ الكلام وسؤال هؤلاء الركاب . إن كان الكيس يخص أحدهم فليأخذه إلى جواره خوفاً من نسيانه . الا أنه أثر السكوت ومتابعة نومه المراوغ ، فربما تأتيه إجابة محرجة .. انا شايف وواخد بالى منه.. بعض المحيطين خمن ، أن الكيس يخص ثقيل الرأس المتناوم.. و .. هناك ، فى ركن العربة القريب . كان الشاب القصير النحيل جالساً يراقب / بصحو رأس / مسألة الكيس متابعاً القاعد و .. المتحرك . والذى ذهب .. أبواب القطار المفتوحة كأفواه تلهث تطرد زفير الزهق ، و تشفط أبدانا أخرى تختلط وتذوب .. فى الزحام .. كان الرجل الذى راوغة النوم ينحنى ويسحب من تحت المقعد صرة قماشية مكوّرة ، رفعها فوق منكبه بمساعدة رجل واقف.. جاهد الرجل الزحام بصرته ، وقبل أن يهبط فى محطة العصافرة سأله الرجل الذى ساعده . (هى الفانلة واللباس يعملوا كام ؟) .. لكن توافد ركاب آخرون . مهرولين . ملأوا كل

الفراغات .. كان الركاب الأول . القدامى مازالوا قاعدين . يمضون الوقت بالكلام .. متأكدين أن صاحب الكيس يقعد - مؤكد - بينهم. لذا لم يسأل أحد أحداً عنه .. لكن الشاب المنزوى بركن العربة ارتاب، بدأ جسده يتململ كالمؤرق .. دعى أمرأة حامل واقفة كانت بالجوار . اقعدها .. وراح يمد قدمه بحذر متملصاً بخفة من وسط تلاحم الأبدان المتكاثر ، مقترباً من مربع المقاعد الذى يعلوه رف الكيس مراقباً أولئك القاعدين القدامى . ملامحهم المستكينة توحى بأنهم باقون هكذا إلى خر الخط ، كان يراقبهم واحداً بعد واحد.. أحدهم ينبه أخر (المحطة القادمة سيدى بشر).. نهض رجل بهلع وتبعه آخر . هرولا وهما يخترقان الزحام نحو الباب .. هنا بفسحة الباب رجال وعيال ، باعة مقرفصون . لم لايكون الكيس لأحدهم ؟ .. على الشاب أن يظل واقفاً ، عاقداً زراعيه على صدره ومنتظراً حتى يتقيأ القطار ما بجوفه المتخم . ركابه المبلمون . الصامدون المتغيرون ، إن أخذ أحدهم الكيس سوف يشعر هو بالراحة . الراحة التى تسكن شيطانه الأرعن الذى تغلغل بدمه ... وأكد له أن الكيس - لابد - كان لأحد الذين هبطوا بالمحطات السابقة . الذين انفلتوا من ملامسه يده لجيوبهم .. الآن ، وقد انحط تركيزه على الكيس بأعصاب مشدودة بتلافيف الدماغ .

وتثاقلت خفة أصابعه التى لايشعر ضحاياه بخفتها. عليه أن يواصل الترصد . أن يستحوذ هو على الكيس دون غيره تعويضاً عما فاته من تفريغ الجيوب . ما هو المخبوء بهذا الكيس ؟ أية ممنوعات . مخدرات . أسلحة ؟ . وهل صاحبه ركنه هكذا لحين شعوره بالأمان ؟ أم تراه يحتوى على قطعة باهظة الثمن ؟ أو يمكن ملفوفاً على ثياب عمل تخص أحد عمال المحارة ،البياض ؟ .. مصيبة !! أم يكون طعاماً .، أو يكون حذاءً قديماً ؟ .. أم تراه مملوءاً بالنقود ؟؟

والركاب يتغيرون .. أبدانهم المارة والمزنوقة تلامس بدنه الثابت. يذهبون . ولم يمد أحدهم يده نحو الرف .. والركاب القدامى يتناقصون . والباقى منهم تأخذهم غفوة ..

فوق مقعد شغرتوا ، جلس بقلب مضطرب مرتاب . لن يرتاح إلا بآخر الخط ، عندما يلفظ القطار ركابه .. ظل قاعداً بأسفل الرف يرقب الركاب المجاورين الذين ينظرون إليه والكيس عند نزولهم .. متوقعا أن يسأله أحدهم إن كان الكيس يخصه . فكان يرفع عينيه لأعلى موحياً لهم بأن الكيس يخصه .. وكان القطار استنزف قواه وبدأ يخور زاحفاً زحفه الأخير الموشك على التوقف بآخر محطة .. والركاب ينهضون . يعتدلون . ويزحفون تباعاً نحو أبواب النزول ..

ولم يمد أحدهم يده نحو الرف .. قاعداً هو لم يزل . منتظراً أن يخف الزحام المهرول خارجاً .. حين فرغ القطار تماماً . فكر فى الصعود على المقعد وأخذ الكيس لكنه لمح محصلاً آتياً فأصطنع النوم .. زغده المحصل وهو يقول ..

ـ وصلنايا أخ .. الكيس هذا يخصك ؟

كالمفزوع تيقظ وهو ينظر لأعلى ، مفتعلاً الدهش ..

ـ ياه ه .. انا نسيت .. ألف شكر .. ياه ه . !؟

نهض وأغتلى المقعد فى حين جاء محصلون آخرون لينظروا سبب وقوف زميلهم ، والشاب يسحب الكيس . كان ثقيلاً . حين تم سحبه انفتح طرفه ليكشف عن أصابع آدمية . أصابع أنثوية مدهونة بالطلاء الأحمر . ألجم الذعر لسان اللص . حامل الكيس .. انهار قاعداً مذهولاً تحت صفارات جماعية انطلقت بروع المنظر ـ ذراع لامرأة مقطوع من عند الكتف صفير يشبه الصراخ .. هرع إليه رجال شرطة المحطة . قال أحدهم لوجه اللص المذهول ..

ـ أنت ... ؟! ..

قبــو اللهــب

انتشر فى الحى خبر مروع . شاع وامتزج بالهواء الطائر الذى

يتنفسه البشر ، يقول أن الولد « بيوض » النشال قد قبض عليه ،

ليس بتهمة السرقة كالمعتاد . بل قبض عليه وبحيازته كيس يحتوى على ذراع امرأة .. فى القطار .. اصطبغت الوجوه بالدهشة والوجوم . ناءت القلوب بالقلق . مس العشاق القدامى ابتهاج خفى.. تساءلوا فى صمتهم الحائر المنتظر .. لمن يكون الذراع ؟ ليته يكون لها .. أحس بخيت بارتياب ملتاع وقلق جعله يتمنى لو شاهد ذلك الذراع الذى دفن بعيداً عنه ..

* * *

على الفراش حامل الصندوق . والأشياء القديمة .. اعتدلت أم ريده وهى ترفع صورة « ماجد » خفق القلب . تمددت الساقان . ارتفع النهد بتنهيدة وجد وشوق مبتور تتأمل .. الوجه الأبيض المشرب بحمرة الخجل ، الشارب الأسود العريض . العين مكسورة الجفن تبث التحدى . تسحب الروح .. تأوهت وهى تودع الصورة فيما بين النهدين . رافعه الساق اليمنى فوق محتويات الصندوق ، ضامة الصندوق إلى ما بين الفخدين بساقها اليسرى ..

أين هو الآن ؟ ، ماجد .. الطفولة .. البراءة .. الحنان والفحولة البكر التى لم تقربها إمرأة سواها لقد علمته كيف يكون رجلاً ..

* * *

ماجـــد

حين أحيل موظف البريد - الأب - إلى التقاعد (ثلج صدر المرأة - لأم - فرحت بأيام الونس بتواجده . لكن الرجل ترك روحه هائمة بجو الشقة ورحل .. مخلفاً معاشاً ضئيلاً ، وحزناً مستبداً . وولداً وحيداً نهل من أوعية الحب حتى الأرتواء . والكبر .. وامكانية المساندة والمساعدة الأم عجوز هدها الحزن والفراغ . وتكملة مسيرة الحياة بتاكسى ابتاعته هى بمستحقات الزوج - الأب - الموظف الراحل . قالت لولدها الشاب (بدخل التاكسى نستطيع أن نوفر جزءاً للزمن وجزءاً يساعدنا مع المعاش . ولا تنس إنك تتزوج ذات يوم . كنت أحب لوفرحنا بك بوجود أبيك المرحوم .. لكن) لكن روح الراحل ما تزال بجو الشقة ، اشياؤه التى آلفها وألفته .. صوره الموزعة فوق الحوائط . طفلاً بطربوش . وشاباً بشعر مهذب وشارب قصير حاد النظرة .. وزوج أنيق الملبس .. متجهم الوجه ، واقفا بجانب عروسه كحارس محب أمين .. ثم صورة الموظف الصارم . أصلع الرأس . يحدق لكل من نظر إليه بتحدى الواثق المطلع . القائل أننى اراكم فلا تتلاعبوا ، أو تتكاسلوا . أو يفكر أحدكم فى خداعى .. صورة معلقة كانت بغرفة ماجد .. تواجه السرير العتيق الذى احتمل ثقل بدنه الراحل لسنوات طويلة .. فوق

التسريحة ذات المرآة القديمة التى أصاب اطرافها الوهن والغبش ، تجاوز الدولاب الواقف بمكانه منذ زمن الزواج بقدرة عجيبة على البقاء ـ حاوياً ،لم ، يزل بعض ملابس الراحل كذكرى . أصرت الأم على استبقائها بآخر عرق ولمسات يده وأنفاسه لينهل الولد منها القوة والأخلاق والمشى المستقيم .. لكن شعور الأسر كان يساور القلب .. يراوغ الدماغ .. عائشاً فى إطار الصورة . مقيداً بصرامة النظرة . اشياؤه المنثورة بجو الشقة أغلال .. كان يخفض العين عندما يتوحد بالغرفة ونفسه .. احيانا يقلب الصورة بحيث يواجه الراحل الحائط ، وفى الصباح ـ قبل مغادرة الغرفة ـ يعدلها .. وبليال آخر ، يخلع ملاءات السرير البيضاء ويغطى واجهة الدولاب ليتوارى عنه. وينقل المخدات من مكانها المعتاد ويضعها مكان موضع القدم .. يواجه المرآة . معكوساً هناك بثوب نوم الأب الراحل ، قفطان مخطط و طاقية من نفس القماش ـ أرث كئيب تفرضه الأم ـ لكن فى المساء ـ حين يتوحد بذاته ـ يخلع الطاقية والقفطان ، وينام بالملابس الداخلية..

اليوم تغير الحال . انتشت المشاعر المدعمة بالبهجة التى تنتشل الروح وتحلق بها نحو آفاق بعيدة يقشعر لها البدن . بهجة لايحتمل المرء امساكها واستبقاءها بالدماغ .

فقط يستطيع أن يغفو بها ليحلم بحلاوتها . بهجة الحب ، العشق ، الانطلاق من الأسر البيتى .. قدام المرآة ، خلع ملابسه الداخلية . تأمل تفاصيل جسده المشعر متماسك وقوى . يلامس اعضاءه عضواً بعد عضو بحنو ، مع تفكيره المحلق نحو أرض الفولى والمرأة التى أحبت هذا الجسد . وهو يلمس مواضع من مؤخرته. هنا لامست يدها لحمه .. وهنا توسدت يدها ساقه . وهنا اجتذبت ظهره ليغوص بقوة شبابه فى رحمها الصارخ بفعل التوهج النشوان .. هنا بأذن رأسه الهائم . سمع صوتها لأول مرة ـ منذ وقت لم يدرك مداه ـ حين اشارت للتاكسى بذراعها الأبيض بمنتصف الشارع بجوار مزلقان باكوس .. توقف . سألته يومها عن سعر مشوار لغاية محطة مصر . فنظر وابتسم لوجه ابيض مدور مشرب بحمرة وفم مصبوغ بالأحمر الغامق ـ حين فتح وسأل كشف عن اسنان بيضاء ورائحة لبان .. لم تنتظر رده . بل فتحت الباب المجاور وصعدت بين تأمله وصمته المبتسم .. جلست بثوبها الحريرى الذى كشف عن مفاتن بروز الفخدين والبطن والصدر . ولتشع بجو العربة وأنفه روائح عطرها .. فسكر . وماج صمته محركاً رأسه بقوة الاستنشاق مفرغاً مشاعر سكره بنطق لسانه . الا ه ه ه ه ه الله .. ولم يدرك يومئذ بأى عذوبة صوت تفجرت تلك

الآه النشوانة. لكن أدركه مدى اعجابها الشديد ، ابتسامها الصامت . أتساع عينيها التى نظرت اليه بجانب ليتفاقم سكره اللذيذ .. ولم يصح - لثوان النشوة - إلا على صوتها الرخيم يقول .

(هيا . اطلع أنت تعطل السكة) استفاق ، وطلع يمشى ، بحذر ، كأن العربة تمشى فوق مشاعره ، يومها أحست أن السائق قد «وقع » فى حبائلها . فأعادت السؤال (تأخذكم لحد محطة مصر ؟) قال من خلال سكره اللذيذ (تأخذين كم أنت وتجعلينى أنظر إليك . ؟) رفعت يد بيضاء حمراء الأظافر . جميلة التكوين ، بها دبلة زواج .. عدلت من شعرها السائب فوق منكبها العريض وهى تقول (والطريق من ينظر إليه ؟ أتريد أن تصدم أحداً) قال (لايهم) المهم أن انظر إليك . تقودين أنت) قالت (ليتنى أعرف القيادة) قال (يمكننى تعليمك . ألا تزعلى . ؟)قالت (ولماذا ازعل ؟) احساس حلو امتلكها وامتلكه) قالت (انا جادة فى كلامى .. كم تأخذ لحد محطة مصر ؟) كانت تعبث فى قرطها الذهبى المدلى . ثم انزلت يدها وعبثت بكيس يدها الأخرى . فمد يده بجذر ورهبة ، وضعها فوق يدها . (انا ايضا جاد فى كلامى) (فشعر بدنه لعدم سحب يدها من يده . بل رفعت أصبعا . واستبقت يده ليضغط بأصابعه الفخذ المجاور ، ولتأخذ كيانه رعدة

أوقف معها العربة .. بقدميه هاتين مشى إلى ارض الفولى . تلك البقعة التى احتلت مخه . مستبدة وبقدميه ، توجه إلى الدولاب . رفع عنه الملاءة . فرشها على السرير ، وارتدى ثياب خروجه .. حين ولى بدنه النشوان نحو الباب . تذكر الصورة المقلوبة ، فصعد فوق الكرسى وعدلها .. رش على نفسه عطراً لم يكن معهوداً به . وخرج حيث تجلس أمه . قالت (مالك ملهوف هكذا ؟) غض بصره متجاوزاً مكانها ليوارى وجهه المطبوع بالبهجة والشغف . قال (تأخرت عن التاكسى يا أمى ..) .. بنظرة المرتاب ونبرة المدرك قالت (لكن الوقت مبكر الآن !) قال (العمل مبكراً أفضل . زبائن الصباح أفضل من ركاب بقية اليوم .. الموظفين المتأخرين .. تلاميذ ..) قالت بتهكم خفى (على رأيك .. و لعلك تأتى بدخل أفضل !) قال مدارياً وجهه المصفر أن تلمحه ممصوصاً (لاتنسى أن النقل العام يأخذ منا أغلب الركاب .. و..) قالت (المهم . خذ بالك من روحك وأنت تسوق) وهو يفتح الباب ليخرج فكر مدركاً رشق نظراتها المستريبة بظهره ،أية سواقة تقصد ؟ ماذا تعنى ؟ هل تعرف شيئاً ؟ .. احتواه صمت الدرج فركض فوقه الجرانيتى القديم بسياجه الحديدى المبروم) المتشابك . متجاوزاً ابواب الشـــقق الخشبية العالية والدهاليز الرخامية الواسعة وعبق الزمن الموقر ..

يحتويه شارع كيلوباترا حمامات البادئ فى الصحو والصخب..
يتوسد التاكسى المركون بجانب جدار بيت . بائتاً هنا . مغسولاً .
انيقاً سلساً ونشوان الهيكل والأطارات ، الأبواب والمقاعد . يدعوه
بخفر أن يتقدم ويركب : التاكسى المبتهج السائر بخفة .. يرفض
إشارات الأذرع الممتدة بوسط الشارع .. فلتذهب الأذرع بأصحابها
لترام الرمل الزاحف فوق قضبانه .. ترام الرمل أحن وأهون عليهم
من تاكسى ولهان ، يتهادى سائراً فوق المشاعر الذى يغزو بألق
منطقة سيدى جابر . يتجاوز السنترال ، وقصر الثقافة والجامع
الكبير (ليت فى بيتك تليفوناً لأتحدث إليك يا روح قلبى قبل
وصولى إليك) . مرق إلى جوار الجامع خطفاً وبسرعة كالهارب
(كثيراً ما جئت إليك يا عمنا جابر ، بصحبه أبى المرحوم ، لنصلى
بك المغرب والعشاء . كنت صغيراً . تحت أبط أبى .) مرق ليسلك
شارع المعسكر الممحد بهدوء يدوسه جنود متفرقون فوق الأرصفة ،
وعربات الجيب تحمل الضباط .. عائدين من المبيت (لو لم تكن
وحيداً لدخلت العسكرية وصرت جندياً .

مثل هؤلاء تمشى نحو المعسكر بالضبط والربط والتلهوج .. لم
يبال لتلويح الأيدى ، فالدماغ مخدر ينشوه اللقاء الآتى فلا يريد ما
سيدفعه الزبون الذى يمكن أن يعكر صفو الدماغ ، أو يعطل المرء

عن اللقاء المبكر . الوعد المنتظر هناك ، فليؤجل تلويحهم لعدة ساعات .. ها هو شارع أبو قير بجبروته ونعومته وانتظام صباحاته المشرقة ، يفتح عيونه .. رجال المرور المتأنقون ينتظمون فى التواجد. يدفعون العربات .. يحثون السائقين على الأسراع . وهاهى أقدام البشر يحملها الأسفلت والقلق وإذلال كل صباح يركضون ، ويتعلقون ويركضون ، ويلعنون بدمدمة وسائل المواصلات العامة (اشكر أباك الراحل الذى جعل لك ركوبه تقيك ذل وركض الصباح والعمل الحكومى والانتظار الطويل لرسالة القوى العاملة لتصبح بعدها عاملاً بدبلوم صنايع سقيم .. جعل لك تاكسياً تجوس به وتجوب ارجاء المدينة . تأخذ أنت نصف إيراده اليومى . وأمك والبنزين والتصليح النصف الآخر . الآن معك شقة متنقلة ، ومعك أمرأة تذيب القلب شوقاً ، تعشق كل ما فيك . تجاورك القعود والمسرة . فعليك أن تقيها ذل الركوب الملول والتعب ترتقى هى مشاعرك أنت أيضاً ترتقى بها وتثبت للعالم ولها مدى قوة بدنك والفحولة ،ولتثبت لصورة ابيك أنك لست مقيداً وأسيراً.. أحذر.. قدامك منطقة رشدى المزحومة بالمنازل العريقة والصمت الموحش . المتأنقون هنا والأكابر .. أنت ايضاً من كبار القوم القدامى .. أبوك كان من ارباب الوظائف الحكومية الموقرة ،

من خلاصة البشر المخلوطة دماؤهم بروائح البحر واليود . البحر المطل والمتغير دوماً بأحواله وجماله الأبدى المنعكس على بيوت الكورنيش.. انت قلب أم ريده . لذلك أحست فيك أصالة وطزاجة أهل بيوت البحر ، تفكر - هى - أن الذين هناك بالورا ء - القائمين - بقلب المدينة هامشيون وخدام للبحر ، وأهله سادة هذا البلد .. شارع فلمنج يفتح لك ذراعيه . يحتويك طريق مصطفى كامل . فحى باكوس . السوق . الباعة والسكان القدامى والمقاهى والأزقة والصخب . مزلقان القطار مفتوح لك) .. أرض الفولى مازالت تتثاءب تلفظ انفاس الليل الساهر المشدود بحبال السأم .. يبدو التقاطع غافياً مسحه التعب تصبغ بيوته بالوحدة والندى الذى يشبه العرق ..

دكان فرغل مفتوح بابه كحلق قبر ينتظر رواده ، ولم يظهر أحد به بعد . يبدوأن البائع قاعد خلف الثلاجة يقاوم الإغفاءة بإغفاءه.. كشك برعى أيضاً مفتوح . تغفو فيه زوجته ، فهما - دكان فرغل وكشك برعى - وبينهما الباب الحديدى - يفتحان بعد صلاة الفجر مباشرة ليبدأ عملية التنافس المألوفة .. كانت نافذة القبو التى تجاور الباب الحديدى ، شبه موصدة . أو مواربة بشكل دقيق لايلحظه الناظر بعفوية وحين مر التاكسى . اغلقت الفتحة المواربة

برفق ... لتمر برهة .. ثم يوارب الباب الحديدى بفتحة ضئيلة بقدر شد المزلاج . فتحة متروكة ومعلومة ومتفق عليها سلفا - ما يكاد المرء يدفع حتى يدخل . فتحه تنتظر خطو أقدام ماجد الوئيدة المشحونة بالقلق وتوخى الحذر ، واندماج الدماغ بلقاء النشوة - مخلفاً هناك - بزقاق جانبى - عربته الأجرة ..

* * *

منذ قليل ، والفجر الفائت تواً ، تقلب بدن أم ريده فوق الفراش، تقلب العرى والشبق المفتعل .. القت بفخذها الناعم فوق ساق بخيت الغائص فى نومه . ساقة المشعرة التى تقزز النفس تقلب هو بصحو متناوم ، فألقت ذراعاً ، ووجهها المتردد يتقارب - يتقزز - من قفاه المسود المغمور بالشعر والعرق . فنجل عينيه بانتشاء خفى منتظراً مزاولة الأحتكاك أكثر مقشعر البدن مبتهج لحد المراوغة المغيظة . تطلب جسده - كالعادة - فجراً .. اليوم لن يتقاعس بدنه ويخذ له .. لن يتهاون . نعم هى تريده .. تمطى ، وأمعن فى التمطى . واعتدل نحوها . ليتقابل الوجهان لكن أدارت وجهها عندما اشتمت رائحة فمه النتنة .. فمه الذى فغر كأبله مبهور ينشد صدر أمه . تصلّب وحط ساق ، فوق ساقيها ، فليغوص فى لحمه المجاور الطرى . قالت وهى تغادر الفراش ويده

تشد طرف قميصها النايلون (انتظر . سأعد لك كوب اللبن ..)
راقب جسدها السائر فوق قلبه الخفاق . قال وهو يجلس (نعم ..
واجب لأشد به حيلى..) كان اللبن مغلياً ، ومعداً منذ الليل الفائت
. بهدوء . تناولت من رف الصحون كوباً .. اخرجت من حمالة
السوتيان قرصاً صغيراً أذابته فى كوب اللبن الذى أعادت غليه .
وجاءت متبخترة إلى بخيت المنتشى حتى النخاع .. ورشفة ملتذة
.. ونظرة مشتهاة. ورشفة . وملامسة يد .. الجوف يستقبل اللبن .
وهو يدس اليد فى اللحم الطرى .. يتجشأ وهو يضع الكوب الفارغ
فوق ظهر السرير . والبدن يستلقى إلى جانبه ويده تقبض ،. تغوص
.. تنتفض وتخشى التراجع .. التخاذل فشعور التخاذل بدأ سريانه
فى الدماغ. ويدها تداعب . وجذوة التأجج تخمد رويداً بالدماغ
الذى تثاقل مع مقاومة البدن .. وهى تتباعد عنه ، وهو يحاول
الأمساك بلحظات الصحو الغائمة . تضحك ، وتبرق اسنانها فى أم
رأسه . وبدنه يتخاذل . يخمد . ينطرح فوق الفراش ليعلو شخيره
المنفر فقامت . بنشوة الفراغ والتخلص من عبء .. وخرجت . أو
صدت الغرفة بمزلاج خارجى..ثم فتحت مزاليج باب الشقة وفتحته
بهدوء . وهرولت عائدة إلى المطبخ . سحبت الغسالة لتحدث ضجة
ثم هرولت ـ بسلل ـ حافية القدمين ، لتفتح مزلاج باب البيت

الحديدى .. و عادت لتسحب غسيل من تحت الكنبة . وتفتح صنبور الماء فوق صفيحة . ليعلو الصوت ، وكى يدخل ماجد إلى القبو .. وصوت الغسالة الرتيب المألوف يعلو .. تطحن الغسالة الثياب بوقت طحن الجسد بين جدران الصالة ..

صنـدوق الحبس

ومض بالرأس خاطر مباغت ومذعور . لم تعرف له مصدراً بغرفة نومها الموصدة . خاطر جاء كالطعنة . كان يعرف منطقة الادراك لديها فأخترقها ، ليسكن الجسد للحظة . للمات البدن وتكويمه فوق الفراش ، وخرس حركاته ، بأصغاء مترقب لباب موصد بالترباس .. خاطر وامض زاحم اصوات العيال بأركان البيت وصخب الشارع المكتوم قليلاً . هو خاطر غريب . طعن الشعور الجميل وأوقفه عن التدفق اللذيذ .. واحد فقط يستطيع التسرب إلى الدماغ . ليرهبه .. يخطر بجبروته وشراسته . واحد تعرفه جيداً . تعرف ملامحه وأفعاله . وقد رحل منذ فترة لم تفطن لعدد إيامها لفرط مسرة الحب الجديد ..

بارتعادة ، جمعت اشياء الصندوق المتناثرة حولها فوق السرير .. بلهف الذعر المتوجس كدستها فى فم الصندوق المفغور .. اخرجت صورة ماجد من بين النهدين . دستها بجانب الصندوق حشراً

وضغطت عليه بقصبة الساق بغرض مواراة الصندوق عن رأسها .
اخفاؤه عن نفسها.. هو الذى يتوحد بها . يشهد على الخيانة ..
تضغط كمن تحاول اسكات صراخ هولاء العشاق المتلاصقين على
الأرصفة ينشدون إعادة اشيائهم المخبوءة . فتضغط ليدخلوا
الزنازين يواصلوا رحلة الأذلال فى الحبس . وليظل كل واحد منهم
رهين ماله لديها .. ولما مالت بجسدها وانحناءة جزع لتدفع
بالصندوق إلى ركنه البعيد بأسفل السرير . تساقطت من تحت
الأبط صورة فتوح مبلولة بالعرق . متطلعاً إليها بنظرة مقت
متوعدة . نظرة تشعر القلب بالرعب . صورة حين استقرت فوق
الأرض ارتجفت ..أرتعبت كأن فتوح هنا . بالقرب منها بالجوار بحق
. داخل البيت . بالغرفة .. والصورة تكبر . وتكبر . تكبر ..

فتـــوح

انا سلطان القبو .. يا حراس قبوى . ماذا يبهركم فىّ يا أبناء السحالى ؟ أقف على النواصى أو على مؤخراتكم ؟ داعر أنا وأنتم داعرون . برغبتى تدخلون قبوى ، وبرغبتى تخرجون اذلاء . منكسى الرؤوس . تنزفون عرقاً له رائحة العفن ، لأنكم أغبياء ملعوب فى قعور أمهاتكم الشمطاوات ، ياحراس قبوى السفلة .. نعم سحقتنى منكم الظنون . توخز صدرى . أعرف أنكم كالنمل

الذى يدغدغ مشاعرى . صراصير يحلولها اللهو فى رأسى لكنى
متأكد من قلب أم ريده . فهى لن تجعلكم تقربون فجوة النار .
المحدقة لن تبتلعكم مثلى انا الوحيد المهضوم بالجوف . ساكن
القلب السابح فى دمائها الموزع بخلاياها هل مررتم - يا حراس
قبوى - من فجوة النار لتبلغوا موقع المخ مثلى ؟ متكئين على
أعمدة الرخام الأملس المثير المكهرب الزلق ؟ المؤدى إلى التيه
الجميل ؟ هنا قضيت عمرى ومازلت تائها بالداخل وضائعا أبحث
عن خلاص .. هل تاه أحدكم بين الأعمدة ؟ هل تعلق بالصدر ؟ أن
أمهركم تواً عاد من القبو خائباً نادماً منهاراً مكبلاً بالذنب والفشل
انا الوحيد السائر بدمائها سريان الحشيش فى الأوردة يا حراس
قبوى لم أرغب يوماً فى امتصاصها لنخاعى هى التى ترغب وتريد
وتستجدى تقدم لرأسى قرابين القوة والشجاعة تمدنى بطقوس
الغياب والاثارة والقدرة على شق الفجوة لأظل صامداً صلباً .
ذاهباً آيباً أبحث عن ماء بئرها الكامن بالأغوار البعيدة .. أرويها
و أرتوى . ارتواء يأتى من عمق الشراسة واحتمال رفع أثقال
الأعمدة الرخامية لذك المعبد المسعور المسكون بالثورة .. قبوى
ومقبرتى هى. أنتم حاقدون يا حراس قبوى .. هى تعد لى.. تطلع
الحشيش والسجائر وما لذ من طعام لبعث الطاقة الجبارة فىّ وفيها

لأظل متأجج الدماغ مسطولاً مغيباً عن العالم ألا بها وأنتم بالخارج تحرسون تنظرون مدخل القبو .. شباكه غسيله المنشور وعياله القاعدون على السياج ينتظرون رجوعى بالحلوى والشلنات التى تمنحنى هى إياها .. يا حراس قبوى .. انا المسطول ، المشغرل العاطل . متفرغ للجسد وحدى امتلكه وحدى . امعنوا النظر فى ملامح عيالها ستجدون شبه عظيم منى .. ادخل تحت عيونكم المحدقة التى توارى الغضب والحنق بمصمصات الشفاة كنساء مغلوبات على أمرهن بليال شحت فيها رغبات الرجال العجزة لماذا تلزمون الصمت وانتم تعلمون ؟! مؤكد انتم دخلتم قبلى ، أو بعدى، أو أثناء تواجدى بالجوف قابعاً لائذاً بالغور العميق .. هل ارتقيتمونى وبصقتم على كيانى ؟ تتهامسون كثيراً على دهاليز دكاكينكم ، وعندما تروننى تلزمون الصمت المجبر الخائف ، عما تتحدثون ؟! سوف أريكم ياشلة اقذار .. سأريحكم ، واستريح برحيلى . اترك لكم فرص اللقاءات متاحة و مباحة .. أخى «المحّار» بالبلد البعيد طلبنى لأعمل معه .. سأرحل بجسدى تاركاً للتقاطع روحى . ولن ينال أحد من روحى الممتزجة بروح أم ريدة .. فلأرحل . فرائحة البغض والفلس والعشق قد فاحت وزكمت أنوف معارفى المقربين .. الرحيل لبلاد الفلوس حلم كان يرادونى . لأعود

ينزع عن رقبتى قيد الفقر العائش فيه اطفالى والزوجة المأكولة بنار الشك والسكون .. سوف أعود - حتما - يا حراس قبوى ، لأخذ أم ريده أخذها إلى مكان بعيد ، بعيد.. ارتحال الدماغ عبر ظلمات الجسد كان مطلبى ، مطلب كل الأحبة الموصومين بالحرمان المعذبون بتأجج الشبق . الفجوة المحرقة التى يرحل من اجلها الراحلون . كانت بيدى . عند حدود الجسد تسقط كل رغبات السفر .. ما قيمة التغرب عن الوطن بلا عشق ؟ خاصة وبيدك جسد بلورى متاح يرغبه كل الرجال ؟ ما قيمة العالم بدون أمرأة تعشق رجلاً حتى النخاع ؟ كل البشر يمارسون نوعاً من الدعارة يفعلون كل ما يثبت الرجولة والفحولة . يسرقون يخدرون يخشون السجون من أجل أمرأة .. ومعى التى تغمرنى حباً . يا حراس قبوى انا الملك المتوج رأسه بحجر حشيش . سأرحل وأم ريده بدمى. مزقوا أوردتى - لو عرفتم - وأخرجوها . وهل يستطيع أحد تمزيقى؟! اشك يا حراس قبوى البلهاء .. زوجها بخيت خيال لى . فحين يحالفه الحظ ويفوز بليلة عشق منها تتخيلنى - تتقزز منه عندما يصاب بالفشل فى العثور على ماء الغور هو ايضاً يعود خائباً مدفوعاً يساق مبغضة مزمجرة (دائماً تتعب اعصابى هكذا) وتمتصنى تستحلب نخاعى ، وتبكى (لاتتركنى وتسافر . كن معى بداخلى لاتخرج منى) أخرج

. أجرجر عظامى النخرة . هويدى يضحك متهكماً ـ فرغل يبصق
إلى جوارى . برعى يولى لى وجهه الأجرودى الخائب ـ الفرارجى
ينفث دخان سيجارته مشمئزاً . شلبى يؤرجج ساقه استهزاء ـ سيد
فرغل يشيح بوجهه الطفولى بعيدا كأننى لن اعود يا حراس قبوى
لكنى عائد .. عائد .. لأخذ ام ريدة

انتشـــال

انطوت أم ريدة على النفس النشـــوانه ، على الروح المنزوية المحلقة بأجنحة من المسرة انطواء غريباً باعثاً على الشك وأثارة الدهشة والفضول . البدن متكوما وساكن بمدخل البيت قاعدة ساندة الرأس التائة على كف الذراع المتكئ على الركبة مغلقة بصمت غريب أشبه بصمت الحزانى فاقدى الأحبة والصحاب ،. تنظر بعين الشــجن الكامن . نظر لاتود تشـويهـه أو أهدار نشـوته تنظر إلى عيالها الذين يلعبون بالمدخل ويتوارثون فوق كتفها ويتداخلون فى حجرها تزجرهم ليغادروا المكان إلى الشارع ، فرأسها الموجوع ـ كما تدعى ـ لايرغب فى زيادة الوجع يستغرب العيال يفكرون فى مسألة أمهم التى لم تعد تحبهم أو تفكر بهم فهى ـ احيانا ـ تقوم بوقت من النهار بحبسهم كالدجاج فى غرفتهم وتغلق بابها بالترباس وكانوا

يسمعون ترابيساً أخرى تغلق وتتك ، تكات تنذر بأجتماع مهم سوف يحدث !! واحيانا يسمعون خلال الحديث صوت الغسالة واحتكاك أوانى بالبلاط وخرير صنابير . يخرجون إلى الشارع ، تاركين لها المدخل . وحدها . تعالج الشجن والشرود المهيمن بقص اظافر القدمين وتلوينها بالأحمر ..

اعتقد بخيت المعجب بوضع أم ريده الجديد الشارد أن العقل قد أدركها . عقلها الذى ذهب يذهب . ويجئ . فكر بعادتها الأولى . زمنها الأول عندما كانت تنتظر رجوعه ليلاً أو نهاراً عندما كانت تمنحه الجسد والقلب والروح ..ابتهج لثوبها الواسع الوقور ساتر المفاتن سره الشكل والانطواء كنسوة الزمن القديم المنكمشات فى كنف رجالهن والبيوت .. شعور أزاح مشاعر القلق عن نفسه ، ذلك القلق الذى ناوش الدماغ وأجهد الروح . كان فتوح معلقاً بين شك بخيت ويقينه . بندولاً يساور العقل والقلب، مراوغاً . صديق هو ومباح دخوله البيت وخروجه ومباح تشاورهما والجلوس معاً بقلب الصالة . يشعر بخيت أن فتوحاً أخ مجنون لزوجته أم ريده؟!! لكن فتوح رحل وترك احساساً بالراحة والإطمئنان بقلب بخيت وشعور غريب يراوده ويبهجه أصبح الآن يمتلك زوجته !! .. كفت عن أفعال الصبية المراهقات الراكضات بالشوارع علناً كاشفات عن مفاتن

اجسادهن تعجبا وفتنه لأعين الشباب والرجال قاعدة وحدها بثوبها الفضفاض وصمتها الغريب كصمت المسعور بعد الشبع . كصمت خمود التأجج والثورة .. تنظر إلى الجارات بطرف عين توارى التهكم . تتعجب لهن وتمصص الشفاه لاعنة إياهن فى سرها. خائبات هن وقليلات الحيلة خانعات لرجال ازواج يشبهون العبيد الذين يجدفون مجاناً فى سفن يركبها الأسياد وسط بحر بلا مرسى. يقتلن الوقت كلاماً مكروراً وغيره . والعمر ينزف من بين أبدانهم المترهلة . المخدوشة بضربات الزمن والأجواء .. والممسوسون بالعشق والرهبة العائشون فى صندوق التقاطع والصمت . منتظرو الفكاك من أسرها وأسرارهم وصندوقها . خمنوا معتقدين ـ سراً ـ بأن حزنها المكتئب الذى انحط عليها فجأة . هو بسبب رحيل فتوح ـ فالشعر المصبوغ بالحناء توارى خلف ايشارب معقود عند العنق اجزاء من اللحم المكشوف من الجسد توارى وراء الثوب الفضفاض فكر البعض أنها أدركتها التوبة . رغم أن أحداً منهم أو غيرهم ممن يتقولون عليها لم ير أحداً فوقها . ملتحماً بها . كله كلام وفكروا ربما تؤدى فريضة الصلاة ! من يعرف فرح الممسوسين بالعشق ، فرحاً معلقا بين أمانيهم ورغباتهم . وقال كل منهم على حدة .. إن كانت قد تابت حقاً ، وصدقاً لماذا لاتمنح كل ذى حق حقه . دليل

إدانتـه التى تحتفظ بها ؟؟ لكنهم عـادوا وقـالوا هى اخفت جسـدها لبعُد فتوح . مؤكد فعلت ذلك من أجله ..

حين أتعبهم التفكير والتأويل لزموا السكوت متـوقعين أى شئ مسئ يمكن أن يحدث منها إلا أن تمنحهم اشيا ءهم . فراحوا ينظرون إليـها بأعين التـوسل الخفـى المغلف بالإبتـسـام البـغـيض فتـضحك بخبث مغلف بالود .. فكر أحدهم يوماً أن يسألها عن « شاله » أو «صورتـه » أو « عـقـد زوجـتـه » لكنهـم كـانوا يتـراجعـون ، فـربما تتذكر ما كان قد نسى . فيأكلون صمتهم مقهورين ، لم ينالوا ما كانوا يشتهون ، وماعادوا يشتهون - الآن - وفقط غير دلائل الدنس والخيـانة المحفوظة لديها .. اشيا ء بسيطة ومهملة ولاتهم أحداً آخر سواهم . لم يكونـوا يعلمون بعد ذلك الحب الجديد الكامن بالقلب . حب يوزع النشوة والوجد على انحا ء الجسـد ، نشوة تخشى تسربها من النفس لو كشفت عنها حب مختلف آت من منطقة بعيدة وراقية شـاب يحـمل بـقلبـه وروحـه وذهنه أم ريده يعـيش بهـا هنـاك بموقع مسكنة احست أنها استطاعت أن تخرج عن نطاق التقاطع بجمالها وأن تمد فتنتـها إلى امـاكن أكثر فـخامة .. شـاب أنيق سلب الروح . أمرها أن تلبس ذلك الثوب الواسع لتوارى مفـاتن الجسد عن العيون المفـاتن التى يمتلكها وحده . أزعنت وشعـور عطوف يغمر الروح أن

لاتضع مساحيق أن لا تلف مع النسوة التافهات فهى افضل وأجمل وأرقى .. أزعنت بعشق يزيل عن القلب أدران التقاطع يمحو عن الجسد كل البصمات التى ختمت عليه سابقاً عشقاً يشعر المرء - كلما تباعد بالشوق والحنين والأنتظار الجميل والقلق البهيج .. كان القلب يتسلل كقط ضال يتوارى إلى جوار الحوائط العفنة ليحط على بيت فتوح . سطح فتوح المسطول ذلك الذى أشعرها - بزمنه المقرف - أنها مجرد وعاء لحمى ومتاح ، يمكن لأى أحد عابر أن يتذوقه . يأكله .. فتوح الذى رحل .. لماذا لم يتقابلا - هى وماجد - منذ ذلك الزمن الفتوحى البغيض ؟؟!!

* * *

لم يكن بالبلد العربى البعيد حشيش . بالحشيش يقوم بدن فتوح.. يتقومّ . يصلب طوله . يخدر الرؤوس يبهج التلافيف ، يمنحها قوة تركيز تساعد المفاصل على الوقوف أياماً قدام حوائط الأبينة الطوبية ليفرش عليها « المحارة » فوق السقالات . لكنه . وبدونه . تزوغ العينان تتداخل الرؤى ، تختل المفاصل . تهتز الأذراع ، وتخمد الروح ، تهيم الذاكرة . ليدخل فى الكمون البدنى. يتكوّم حول نفسه يخور كبقرة مذبوحة . وينخ كجمل يضمر الشر لصاحبه ويتحين فرصاً لأنقضاض يساور دماغه الدائخ .انقضاض

قابع بالقلب يثيره رؤية أخيه ـ مستقيم الحال هنا ـ الذى أتى بعد الحاح ، ليعمل ويدخر نقوداً ، فى هذا البلد العربى الغريب الذي لايشرب أهله الموثرون الحشيش .. بلد غريب عجيب .. تصطلى الشمس فى رؤوس مواطنيـة المغطاة بطرح بيضاء . لعل لروائح النفظ ما يكفى لتخدير شعوب . لعل لروائح النقود لفحات تسطل وتهيمن تجعلهم يمشون مترنحين كسكارى . لعل الفخامة والأناقة وشعور السيادة والثراء تسطلهم ربما لكنه جاء إلى هنا ليعمل ويدخر ويكف عن تعاطى الحشيش . لكن لايقدر على صلب طوله الذى يخونه وأخوه يدفعه . ليقاوم الخمود . الحمود الذى يتملكه . تقاعس بالصباحات التالية للصباحات العملية الأولى .. خانق ضوء النهار المتسلل من نافذة السكن المتطرف بالبلد .. يتكومّ .. تطبق على عنقه أوامر أخيه ومحاولات دفعه للخروج من السكن للعمل فعليه أن يكون رجلاً آخر غير الذى كان عليه هناك بالتقاطع .. سجاناً كان . بغيضاً لايحتمل مرصداً يراقبه وهو منطو لايبارح مطرحه المهمل بالسكن بالليل والنهار . متجهم الوجه وصامت لايأكل يبحث عن شئ غامض يأخذ الدماغ ويغيبه فى بلد غريب .. عبئاً صار ثقيلا بغيضاً كأمرأة شمطاء ومريضة لاتضحك مركونة بجانب حائط بسكن بعيد لابد ان يستشعر فيه المرء الراحة بعد عناء تحت شمس محرقة .. حين طلب الرجوع إلى الوطن رحب

بأريحية نفس تاقت لمدة شهر إلى الراحة فعاد إلى الاسكندرية
إلى التقاطع سراً.. وهي تصغي - متناومة - لصوت انفاسه المتقطع .
صاعدة من دم فقير وعظام جوفاء. في الصباح . أيقظه
التعب والصداع ، والرأس النازح الى أم ريده . الذي لم
يسطيع ان يريها فشله . تلك التى تعيش - كما يعتقد - علي
ذكري حبه وانتظاره ، ليهربا معا الي البعيد تاركين عالم التقاطع
المقرف بمطالب الزوجه والزوج والعيال والرجال التافهين ، الممسوسين
بالعشق والخبل : ولم يجد زوجه الي جواره . كانت قد جمعت بالليل
عيالها وثيابها وتملصت من همومه. انسلت عبر طرقات الشارع .
ركبت قطار الفلاحين عائدة الي بيت أهلها باكية ، تنعي حظها ...
ظل وحده في السطوح . بلاحشيش . بلابانجو. وحده برأسه النكوب
المنكس . ليس بالإمكان غير «شم المجاز» ، يستنشق الرائحه من
ثقب الوابور .. لم يغب الدماغ : مازال موجوداً يفكر .. من ركن
السطح، جاء بصفيحه غراء قديم كان جاره يستعمله في لصق ورق
الحوائط .. ادخل راسه غاطساً فيه . مستنشقاً بقوة أدارت الدماغ
لوقت قصير وقاهر . راح يفتش عن الجوارب المركونة والتى لم
تغسل منذ رحيل امرأته . كورها بيده وراح يشم بقوة : بقوة رأس

لم يزل يأتى بصور أم ريده : أعد ماء بوله البائت بغرض المتعفن والتخمير ، راح يشمه . يستنشق .. بصباح تال بوغت : صباح مبكر . دهش .. كان باب البيت الحديدى يوارب ويتسلل منه شاب موصوف بالحلاوة والوقار شاب يقولون أن اسمه ماجد . قد سيطر وتملك .. شاب فجّر الحنق والافاقة برأس فتوح ..

رأس الأفعى

الصـبح يحـبـو على الشـوارع والبـيـوت . يلج من النافـذة والثقوب.. يدغدغ أدمغة النيام ... يقلقل ابدانا تثاقلت ، قاومت الخمـول لبرهة واستـقـامت تنفض غـبـار النعـاس المراوغ المعلق بالتلافيف تتمطى مشدودة عنوة بالضوء.

يمشـون تأخذهم الحارات والأزقـة المألوفـة ، تغـمرهم شـمس كـانت تتناسل رويداً . وينمو شعـاعـها فـوق الأرض الترابيـة المنداة شـمس تنامت صارت سياطاً تلدغ الأقفية وتحثها على الإسراع والتسابق قـبل انتـشـار الشـمس وعلوها .. الآن عليـهم أن يتـواجـدوا فـوق رصيف المحطة فى الساعة السادسة لركوب قطار الضواحى المبكر.. حراس أبواب المصالح توقظ المدارك . مكن الشركات يتوق لعرقهم ودمـاهم ليـدور ينبـغى ان يتـواجـد مـبكراً فـوق دفـاتر التـوقـيع

الصباحى. باعة الأسواق الجائلين يسعون ليدركوا تجار الجملة بالوكالة مبكراً .. صبية ورش الحدادة والميكانيكية يهرولون مخدرين ببقايا نعاس . يتحايلون على الصحو والإفاقة إلى جانب أطفال المدارس حاملى الحقائب الذين يؤخرون قدماً عن قدم، وهم يلمحون صبية الورش وألسنتهم الملاعبة بمشاعرهم الناعسة . هم العمال الصغائر الأحرار عن التلاميذ ـــ السجناء حاملى حقائب الواجب المدرسى الاجبارى فوق المناكب والظهور .. يمشون نحو المحطة .. وبالوراء نساء ضامرات يمسحن الأرض بشباشب وأحذية مكعوبة . يثرن الأغبرة . متباعدات متواريات بظلال البيوت القميئة . خادمات قصور أثرياء الرمل . يمشين نحو المحطة . جميعاً ..مشدودون لبذل العرق والعودة مساءً بما يساعد على مواصلة الحياة .. يتوافدون على رصيف المحطة .. مصلوبون تحت الشمس التى تعلو وتبسط لظاها فوق زحام الرءوس .. السابعة للآن . والقطار لم يظهر . لم يسمع له صوت . لعله معطل هناك بالوراء . متأكدون من حضوره . هنا تواجده فى الساعة السابعة والربع. . يولون الوجوه المصمتة فوق أبدان القلق المتراصة بحذاء الرصيف يتطلعون متوجسين إلى حيث يفترض مجيئه قادماً من محطات

المعمورة . المندرة للعصافرة . سيدى بشر ، فالرمل غبريال ليحط هنا بمحطة باكوس .. كان الاضطراب قد نبش فى التلافيف . يقرض فى صبر الصدور التى راحت تلفظ دمدمات الضيق والسأم . ربما يزحف الآن - أتيا - فوق منحنيات الطريق القضبانى المنعرج الواقع بين صفوف البيوت والعمارات التى تحجب الرؤية .. لعله تعطل ورجال السكة يصلّحون التلف - لابد أن يأتى ويحملهم ، مع أنه لم يستوعب أكثر من ربعهم ، فقد تكاثروا وبدأت أبدانهم تموج ببأس شرس . ولا سبيل هناك لأية مواصلة أخرى فاذا توقف القطار، توقفت كل المواصلات الأخرى . كانوا يتوافدون من كل صوب كأنهم يطلعون من تحت الأرض ليشاركوا فى منظومة التأفف الضجر وهمهمات الضيق التى تشبه الخوار الذى كان يعلو رويداً ليملأ محيط المحطة المزروع بالجوانب والباعة، وليتشبع بها الجو القائظ .. ولم يبد القطار بعد .. لكنه سوف يمر من هنا حتماً .. لكن الساعة تجاوزت السابعة و النصف . ولايمكن الرجوع لعلب الطوب الخانقة المشوهة جدرانها بالرطوبة وسكانها دائمى الزعيق والصخب والمطالبة بالنقود . هناك لاح صوته الناعق عبر الأفق المغبر. صوت التقطته الآذان المنصتة برهافة موجعة يقرقع ينوح على

المساكن البعيدة آتياً عجوزاً. منهوك الروح يجر نفسه عربة وراء عربة يتخابط ويجئ تحت افراز الضجر المكتوم واللعنات .. يتبخر كامرأة رقصت طوال الليل فوق الأسرة وأطراف الحراب يجئ ويكاد أن يتوقف هناك فيما بين المحطتين . فتأهبوا بالتحفز موشكين على الوثب . كأنهم ينوون سحبه بأعينهم . سوف يتقاذفون عليه من النوافذ مخلوعة الأضلاف والأبواب المفتوحة لإحتلال ما يمكن احتلاله بالممرات . على الرفوف ، وبين المقاعد المشغولة بركاب المحطات الفائتة . قاعدون . مستسلمون لضجر الانتظار ، قرمعت بالرؤوس الساعة الثامنة .. أخيراً . استكان القطار فوق قضبانه ، متخاذلاً . ومتاخماً للرصيف ، كثعبان عجوز وضخم ، متخم بلحوم البشر الذين نسلفوا هيكله كطيور جارحه . من كل منفذ تدافعوا ، وعلى كل بروز تعلقوا ، فانبعجت بأجسادها الأبواب . وتكدست بهم النوافذ حتى لم يعد بالأمكان استيعاب أصبع يد أو قدم ، فانتظر ثلث الركاب وقوفاً يبتلعون الحسرة ويتمنون مجئ قطار آخر. وببطء يشعر المرء بالإختناق ، تحرك القطار ملولاً . سقيماً . يصدر صوتاً رتيباً . مقرقعاً ، مربعاً شد بعضه بعضاً مروراً بالذن تبقوا يعالجون شكله المتسحب تحت نظرهم الباحث عن منفذ أو

بروز.. لكن عبثاً ، فلينتظروا قطاراً أخر فقد مرت أخر عربة وتجاوزت الرصيف بقليل . تاركة صوتاً لزحفها المقرقع بأذن عنتر ماسح الأحذية المرابط بجوار كشك الجرائد متوجساً لأعنيهم التى تابعت مؤخرة آخر عربة المغادرة ببطء أعينهم المعلقة بالدهش المبهم والفضول . كان هناك جوال ومعلق بحديدة الجرار . جوال من الخيش مربوط العنق بحبل مجدول ومربوط طرفه بالحديدة . مكور ومهترئ قليلا . يسحب فوق الفلنكات التى بين القضبان ، مشحماً بآثار السكة وناشعة جوانبه بلون أحمر ناشف مخلوط بالتراب .. اعتقد البعض أنه لون لقمامة متعفنة ، ربطها أحدهم للتخلص منها - بعد تهرؤ الخيش قطعة قطعة فوق مسافات القضبان . أو لعله كلب مسعور حبسه أحدهم فى الجوال للتخلص منه بنفس عملية الاحتكاك والتقلب على الفلنكات .. لكن عنتر القاعد خلف صندوقه شاهد العيون الموجهة نحو الجوال فارتاب ونظر .. عنتر الفتوة القديم . التائب الذى أطلق لحيته مؤخراً العائد - منذ زمن - من سكك الشر .. ليقعد هنا وراء صندوقه بجوار الكشك وتحت أعين رجال الحكومة السريين - يرن جرس صندوقه طلبا لمسح أحذية الركاب - مقدماً روحه للمزلقان ومن يحيط بالمزلقان - خادما لرجال

نوافـذ قطع التـذاكـر ، ولجندى حراسـة المزلقـان ـ مـتـخذاً مكانه فى احيـان زنقة الجندى البـولية .. وثب .. قـفز بصيحتـه المألوفة المميزة التى تشـعر المحيطين بالحذر والتنبه والجزع (يا حفيظ يااااا رب) انطلق يعـدو فـوق الفلنكات ، مـدركـاً بما يحتـويه الجـوال جسـده الراكض هلعاً زاد الناس زعـراً . فـولوا الوجـوه نحـوه ، مع آخـرين ركضـوا حوله متباعـدين على جانبى السكة .. عنتر جامع اشـلاء الموتى من تحت العجـلات القطـارية بالمزلقـان . المهـروسون . يـلملم بيـديه الملوثتين بسـواد الورنيش . نثـار العظام ومـزق اللحم الآدمى ـ بعد مرور القطار ـ يكوّمـها بجانب ـ يواريها بجرائد عن عيـون البشر الذين يلتمون عادة للنظر لمعرفة الجثـة مع التوقعات المذعورة الموجعة .. حين كف عـنتـر عـن ركضـه خلف القطار الموشك عـلى التـوقف ، رفع اصبعـه مـستـشـهداً وبمشاعـر الواثق من بلوغ الخيـر بجمع لحمه وعظامـه العـائدة ـ لابد ـ إلى التـواب ـ فك ربـاط الحبـل من حـديدة الجرار ليسـتقـر الجوال فـوق الفنكات ، ثقـيلاً .. سـاكناً . مكوراً فى تلك المسافة القصيرة بين محطة باكوس ومحطة الظاهرية .. تداخلت أصوات التساؤل والأسى تقـول (يا رجل أرينا وجهه .. من يكون ؟ (من هذا ؟ (اكشف عن الوجه ياخوى أعـمل معـروف . ابنى طلع

بدرى وسمات الضجو القاتم تكسو وجه عنتر يقول (هذه جثه فقط جثة بلا رأس ..) (معقول ؟!) (أعوذ بالله بلا رأس ؟ نعم بلا رأس يا رجل فتش جيداً ربما الرأس بقاع الجوال ..) (تعال انظر بنفسك) (أين اذن الدماغ . هل وقع فى السكة؟)(واين الذراعان؟) (الجوال كان مربوطاً بأحكام) يا عينى عليك يا ضنايا..) (استر يارب .) صاح عنتر بأسى (هذه جثة أمرأة .. اطمأنوا . وبلا سيقان) (أمرأة ؟ ايضا ؟! يا حافظ .. يا حافظ (من ينادى على حافظ) (هذه جثة امرأة بدينه)(هل أحدكم فقد أمه ؟ (انت فايق ورايق ..) (هل أحد فقد زوجته أو أخته ؟ كبرق ومض فوق المنطقة . ومض فى الإذهان . برق أهاج المشاعر سرى عبر الأفواه العائدة من المحطة أوائل الذين لم يدركهم قطار آخر ولن يمر قطار آخر بعد الحادث ألا بعد رفع الجثة من فوق القضبان بمعرفة الاسعاف الحكومى خبر أثار الدهشة والريبة ليستكين به المتأخرون من صخب البيوت ، وليشحنوا به رءوس الزوجات والعيال ليظلوا مكتومين بالأسى والصمت ليوم من أوله.. خبر سرى بالأسواق والمقاهى والتقاطع موزعاً . مروعاً . ليركض البعض إلى موقع الجثة بكل الشك والاستغراب (امرأة

بلاذراعين؟) (ولاساقين ؟!) (ولا رأس؟!) يا ترى . لمن هذه ؟!
(مصيبة .. هل رأيت امك بالبيت ؟!) (أعوذ بالله .) (أمى
مشلوله يابن الهبلة) (هكذا لايمكن التعرف على الجثة (من
الفاعل أليس بقلبه رحمة ؟ اعتقد ان الجوال تعلق هكذا من محطة
سيدى بشر ! (ممكن فالقطار تعطل هناك لفترة طويلة) (ولماذا
سيدى بشر بالذات ؟ لماذا لايكون فى أبى قير ؟) (لو أعرف
الفاعل ابن الـ ...) (ويمكن علقوه في المندرة) الجوال مؤكد علق
فى الفجر (ومن محطة قريبة (ابن القحبة . اخذ الكوارع (يوجد
أفضل من شوربه الكوارع انت فايق ورايق يا اخ ! (ياعم هو
عمرها انتهى هنا . ماذا نفعل ربما نهرس نحن بعد حين) .يا
حافظ.. احفظنا (أيوجد هنا احد غيرى اسمه حافظ ؟ مؤكد ابن
الزانية سرقها وأخذ مزاجه واساورها وقتلها ! (لكن أين رأسها ؟
خدوش الظهر تؤكد أن السحب كان من مكان قريب ..) .. بخيت
بين الحشد كان واقفاً يتفرج آتاه الخبر وهو يعد فطور عياله هرع
منتفضاً . وثب راكضا بقفطان نومه الكالح . مدفوعا بهاجس
التوقع . معلقاً بين التوهم الفرح والأسى المتحسر . كأن الذين
يموتون ـ هرساً . تحت القطار يهمونه وحده كل الذين يمزقهم القطار ،

إنما تكفيراً عن ذنوب ارتكبوها فى حق ازواجهم ارتكبوها فى ظله.. من أجله وبين قرنيه كلهم تجسدوا فى شكل أم ريده . أم ريده التى خانت وذهبت عنه مخلفة له عيالاً صغاراً . أم ريده التى يجب أن تموت ألف مرة تحت ألف قطارهذا أن كانت هى ولن تظهر مرة أخرى لتعيد لرأسه القرنين ليصبح قواداً رغم أنفه .. كان يتفرج ونظره موزع على الوجوه الغفيرة .. تقلقل المسوسون بالعشق على المضاجع .. أرجفهم الخبر الوامض أمرأة بلا ذراعين ولاساقين .. كانوا يحلمون بالنسيان الأبدى . الاستقرار المنعم فى احضان نسوتهم اللواتى لم يعرفن شيئاً عما يعتمل بصدور رجالهن العشاق المقهورين مستباحى الأذهان استغرقهم التخمين للحظة المباغتة الخبرية الوامضة .. هل الجثة لتلك التى غابت مخلفة لهم امنيات موتها أو العثور على اشيائهم المخبؤة ؟ . تمنوا جميعاً لو كانت هى الجثة لتمحى عن تخيلاتهم إلى الأبد . تأرجحوا بين البهجة المكبوتة والقلق بين التخمين والشك واليقين هل الجثة لها ؟ لقد ذهبت من شهر أو أكثر ولم تعد .. كانوا يتسللون من بيوتهم قادمين ـ فرادى متباعدين فرغل من اقرب شارع يفضى إلى موقع الحادث ركض هويدى كان قلبه يحث الخطى بهلع للنظر والتيقن

وانتزاع أم ريده من دماغه .. أهى ؟ برعى بثقل بدنه المترهل بنشوة قلبه النابض بأمنية . كان يتوكأ على عصاه وهو يعرج يهرع . أيمكن ان تموت هكذا ؟ .. أهى ؟ سيد يسابق فكرة الشك واليقين بالركض حافياً أمعقول أن تسحق هكذا أم ريده فوق القضبان ؟ محمد دواجن متواجد هناك مزنوق بين الأبدان يتطلع بارتجاف قلب متقزز غير متأكد متمنياً أن تكون .. اندهش فرغل عندما لمح وجه برعى يتوارى متخفياً برأسه المشرئب بين الرؤوس . برعى لايتحرك من بيته الا لصلاة الفجر والتسوق والعودة لفتح كشكه مبكرا .. نفس الدهشة دارت برأس برعى . فرغل هو الآخر لايبرح دكانه ولايصحو الاظهراً . ينام بعد صلاة الفجر تاركا الدكان للولد سيد ..كم من حادث وقع منذ بناء البيوت حول سكة القطار ؟ ومحمد دواجن قابع بدكانه كطفل مطرود من حضن أمه . ما الذى خلعه وجاء به هكذا ؟ أندهش هويدى وهو يفكر فى ذلك خافياً وجهه بعيداً عن مستوى نظر محمد دواجن الواقف بالحشد المواجه . محمد اكتشف ان هويدى يراقبه من بين تحرك الرؤوس فتوارى . ما الذى دفع هويدى لمغادرة فراشه لمجرد سماع خبر موت مألوف ؟؟ اندهش بخيت لمزاحمة سيد لأبدان الحشد ونظره المدقق إلى الجوال . سيد

الذى لم يكن يبرح مكانه من التقاطع الا نادراً .. فهو بالدكان أو مصاحباً لبخيت فى دكانه .. كانوا يتوارون .. يتفرقون .. ينظرون الى الجوال . ولم يجرؤ أحد على الاقتراب من موقع الجوال وعنتر للتحقق والنظر عن قرب . ربما تكون هى وربما لا تكون . ولم يستطع أحد أن يسأل . اذا كانت الجثة وجدت هنا ووجدت هناك ..

ولم يستطع أحد أن يسمع لأقوال السابقين الذين كانوا هنا وقت الواقعة . هؤلاء الذين تشبعوا برؤية الحدث حتى أصيبوا بالصمت والصمم . كل الذين جاءوا متأخرين أدركهم فزع وتقزز وأمنيات مخنوقة . حتى اذا عادوا الى مواقعهم بالتقاطع انكمشوا لائذين .

بالصمت الحذر . كل واحد كان موقناًمن تفاقم همه موقناً من عدم اتزان دماغه هل مازالت أم ريده على قيد الحياة ؟

ولم يخطر على بال أحدهم أن يفكر فى أمر فتوح الذى كان متواجداً ـ هناك . مع أنه كان غائباً هو الآخر ، وعاد الآن ليشارك الحشد المتفرج ..

لكنهم جميعا شاهدو بخيتاً هناك واقفاً يتفرج .. وشاهدوه وهو يمشى منسحباً عن الحشد ـ لوحده ـ عاقداً ذراعية وراء ظهره مستقبلاً أول سكة التقاطع ..

للمؤلف

١ـ النبش فى الذاكرة	مجموعة قصصية	١٩٨١	على نفقه الكاتب
٢ـ الهجرة إلى الأرض	مجموعة قصصية	١٩٨٢	على نفقه الكاتب
٣ـ القيظ والعنفوان	مجموعة قصصية	١٩٨٢	على نفقه الكاتب
٤ـ الليل والأصوات	مجموعة قصصية	١٩٨٣	المجلس الأعلى للثقافة
٥ـ شوارع تنام فى العاشرة	مجموعة قصصية	١٩٨٥	إشرافات . هيئة الكتاب
٦ـ تراتيل نسج الطواقى	مجموعة قصصية	١٩٨٦	مديرية الثقافة اسكندرية
٧ـ ظل باب	مجموعة قصصية	٢٠٠٠	اتحاد كتاب مصر
٨ـ عبق الشوارع	مجموعة قصصية	٢٠٠٢	مديرية الثقافة = مكتبة الأسرة
٩ـ مدن وضواحى	مجموعة قصصية	٢٠٠٤	اشراقات ، هيئة الكتاب
١٠ـ جرس الليل	روايات	١٩٨٠	على نفقة الكاتب
١٠ـ الغجر	روايات	١٩٩٥	مديرية الثقافة = اصوات ادبية

نشرت قصصة بالدوريات المصرية والعربية المتخصصة

عضو اتحاد الكتاب ..

عضو نادى القصة

عضو بتجمعات الأب بالأسكندرية

•• صدر من هذه السلسلة

١ـ آلام صغيرة وقصص أخرى ـ الفائزون فى مسابقة القصة القصيرة عام ١٩٩٨,.

٢ـ يوميات عروبة ـ د. هانى الرفاعى.

٣ـ ما رواه البحراوى ـ عبد الرحمن شلش.

٤ـ أبناء نادى القصة ـ محمد محمود عبدالرازق.

٥ـ زوجتى لاتريد أن تتزوجنى ـ فتحى سلامة.

٦ـ الحى الراقى ـ فتحى مصطفى.

٧ـ الياسمين يتفتح ليلا ـ عزت نجم .

٨ـ حدائق السماء ـ محمد سليمان.

٩ـ الفائزون بجوائز آخر القرن العشرين ـ الفائزون فى مسابقة القصة القصيرة.

١٠ـ دلونى على السبيل ـ محمد الشريف.

١١ـ الجدة حميدة ـ حسن الجوخ.

١٢ـ فستان زفاف قديم ـ على عيد.

١٣ـ بحر الزين ـ حسن نور.

١٤ـ من أوراق العمر ـ محمد كمال محمد.

١٥ـ إحراج ـ نادية كيلانى.

١٦ـ البنات ـ هدى جاد .

١٧ـ عاد الأسد.. أسداً نبيلا ـ عبدالمنعم السلاب.

١٨ـ عراف السيدة الأولى ـ محمد القصبى.

١٩ـ حكايات عن العربيد ـ صلاح عبدالسيد.

٢٠ـ السلمانية ـ صلاح معاطى.

٢١ـ الفائزون أول القرن الحادى والعشرين ـ الفائزون فى مسابقة القصة القصيرة.

٢٢ـ صبحى الجيار والمحنة المضيئة ـ مصطفى عبد الوهاب.

٢٣ـ الرغبة الوحيدة ـ صوفى عبدالله.

٢٤ـ الغزال فى المصيدة ـ محمود البدوى.

٢٥ـ خراط البنات ـ صفوت عبدالمجيد.

٢٦ـ القصة القصيرة عند ثروت أباظة وقضايا المجتمع ـ حسين عيد.

٢٧ـ حوار مع جنية ـ عصام الصاوى.

٢٨ـ ليلة موت ـ عبد الحميد الفداوى.

٢٩ـ حبيب حبيبى ـ درويش الزفتاوى.

٣٠ـ لقاء غير متوقع ـ محمد صفوت.

٣١ـ التوأم وقصص أخرى ـ الفائزون فى مسابقة نادى القصة للقصة القصيرة.

٣٢ـ أكثر من عمر ـ عبدالفتاح مرسى.

٣٣- من حياة الحياة - رستم كيلانى.
٣٤- فرحة الأجراس - عبدالعال الحمامصى.
٣٥- أنا .. ونورا .. وماعت - رفقى بدوى.
٣٦- الليلة الثانية بعد الألف - مختارات من القصة النسائية فى مصر - إعداد وتقديم يوسف الشارونى.
٣٧- ثلاثية آدم وحواء - عماد الدين عيسى.
٣٨- الأحلام تتمشى فى الذاكرة - محمد الفارس.
٣٩- بين الحكى والنقد - نبيل عبدالحميد.
٤٠- مواسم الشروق - أحمد الشيخ.
٤١- السقف والناب الأزرق - فؤاد قنديل.
٤٢- الفائزون فى مسابقة القصة القصيرة لعام ٢٠٠٢ .
٤٣- خمس سنوات رملية - سمير درويش.
٤٤- القصة والرواية فى السبعينيات - د. يسرى العزب.
٤٥- الضوء والظلال - محمد قطب.
٤٦- عين طفل - د. مرعى مدكور.
٤٧- فنون روائيه - محمود عبدالوهاب.
٤٨- عطر المشمش - أمين بكر.
٤٩- أولاد الأفاعى - خليل الجيزاوى.
٥٠- رواية زوينة - محمد جبريل .

٥١- التعدد والتباين - أحمد عبدالرازق أبو العلا.
٥٢- فيل أبيض وحيد - د. محمد حسن عبدالله.
٥٣- العذاب والصمت - لويس يعقوب.
٥٤- عواطف دافئة - وفية خيرى .
٥٥ - احداث منتصف الليل - رأفت سليم
٥٦ - ظلال وأشخاص - محمد الحديدى
٥٧ - قراءة فى القصة والرواية - د. جمال عبد الناصر
٥٨ - الصوت والصدى - يوسف جوهر
٥٩ - اشلاء بؤرة العشاق - أحمد محمد حميدة

الإصــدار القــادم

من حكايات البنت المسافرة

محمد عبد الحافظ ناصف

الناشر
دار النيل
للنشر والطبع والتوزيع
١٢ شارع عبده بدران
م الباشا ـ المنيل
ت : ٣٦٢٢٥٧٨

رقم الإيداع بدار الكتب
٢١٣٩٨ / ٢٠٠٥

الترقيم الدولى
977 - 5414 - 84 - 4